أسّسها أ. لويس خليفة (†)
سنة ١٩٩٠

رئيس التحرير:
أ. أيّوب شهوان

أسرة التحرير:
الأب غابي أبو سمرا
الأخت روز أبي عاد
د. نقولا أبو مراد
الأم كليمانس حلو
الأب ميلاد الجاويش
الأب أسعد جوهر
د. جاك خليل
الأب جورج خوّام
الأخت باسمة الخوري
الخوري نعمةالله الخوري
الأب لويس خوند
القس د. عيسى دياب
الأخت ماري-لويز شهوان
الأب نجم شهوان
الخوري جان عزّام
د. جوني عواد
الأب أنطوان عوكر
د. دانيال عيّوش
الخوري بولس الفغالي
الأب هادي محفوظ
الخوري أنطوان مخائيل
المطران بطرس مراياتي
الخوري جوزف نفّاع
الأب ريمون الهاشم

▪ ▪ ▪

جميع الحقوق محفوظة

مركز النشر والتوزيع
جامعة الروح القدس – الكسليك
ص.ب. : ٤٤٦ جونيه – لبنان
تلفون : ٥-٠٩/٦٤٠٦٦٤
فاكس : ٠٩/٦٤٢٣٣٣

في هذا العدد

الافتتاحية: الذكرى الخامسة والسبعون لاكتشاف أوغاريت — رئيس التحرير ٢
أوغاريت، الجغرافيا والتاريخ — الخوري بولس الفغالي..... ٥
مملكة أوغاريت — د. أنطوان قسيس ١١
مقاربات سميث للعهد القديم على ضوء العلوم الأوغاريتية — د. دانيال عيوش ١٩
منشأ التوحيد في الكتاب المقدّس، شِرْك إسرائيل ونصوص أوغاريت — الأب جورج خوّام..... ٢٣
التوراة الأوغاريتية — الأب سهيل قاشا ٢٧
أوغاريت والعهد القديم، تفاعل وتمايز — الأب أيوب شهوان..... ٣٣
آلهة أوغاريت ويهوه التوراة: ألقاب وصفات مشتركة — الأب غابي أبو سمرا..... ٤٥
الإله بعل في نصوص التوراة وفي الأدب الأوغاريتي — الخوري بولس الفغالي ٤٩
الطقوس الدينية في أوغاريت — الأب أيوب شهوان..... ٥٧
اللغة في أوغاريت — الآنسة تريز ليون توما..... ٦٣
جغرافية مملكة أوغاريت ومناخها — الطالب رامي واكيم ٦٥

ثمن العدد
في لبنان : ٥٠٠٠ ل.ل. أو ما يعادلها
في الخارج : ٨٠٠٠ ل.ل. أو ما يعادلها

الاشتراك السنوي (٤ أعداد)
في لبنان : ٢٠٠٠٠ ل.ل. أو ما يعادلها
في الخارج : ٣٢٠٠٠ ل.ل. أو ما يعادلها

الصف الإلكتروني، الإخراج،
فرز الألوان والطباعة:
مؤسّسة دكّاش للطباعة
البوار (لبنان)

العنوان
كليّة اللاهوت الحبريّة
جامعة الروح القدس – الكسليك
ص.ب.: ٤٤٦ جونيه – لبنان
فاكس: ٠٩/٦٤٢٣٣٣
هاتف: ٠٩/٦٤٠٦٦٤ المقسّم ١١٥

الافتتاحية

الذكرى الخامسة والسبعون لاكتشاف أوغاريت

رئيس التحرير

مقدمة

يضجّ عالمنا الشرق أوسطي بعطاءات حضاريّة عظيمة تراكمت على مرّ الزمن، لتشكل إرثًا إنسانيًا فريداً، مَدّ العالم بأروع ما أبدع المخلوق العاقل في منطقتنا. انهال المنقّبون على الأماكن الأثرية في مصر، وفلسطين، والأردن، وبلاد ما بين النهرين، وسوريا، ولبنان، يشيلون من أحشاء الأرض ما حفظته من شواهد ماديّة على عِلم الشعوب التي قطنت في تلك الديار، وعلى معرفتها، وصناعتها، وفنّها، وطرق عيشها، على آلهتها، وعباداتها وطقوسها، على هياكلها وبيوتها وهندستها، الخ.

سنة ١٩٢٩ كان الحدث الفريد في شمال غربي سوريا، حيث تمّ اكتشاف موقع رأس شمرا الأثري صدفةً؛ ولم يَطُل الأمر حتى توضّحت أهميّته التاريخيّة، والعلميّة، وغيرها. قد نستطيع أن نتصوّر فرحة علماء الكتب المقدس، خاصة العهد القديم، بعد أن نجح بعض الأخصّائيين في التعرّف إلى أبجديّة أوغاريت، بُعَيدَ اكتشافها، ثم في قراءة بعض الكلمات أولاً، والنصوص بمعظمها لاحقًا، ممّا شكّل دعمًا للجاهدين في حلّ ألغاز في النص البيبلي العبري، ولدراسة التقاليد والعادات والطقوس والعبادات، وإلى العديد من أسماء الأشخاص والأماكن.

١ – اكتشافات أوغاريت

إذا كانت المصادر القديمة المصريّة والكنعانيّة الحثيّة قد عرّفتنا إلى اسم أوغاريت، فإنّ موقعها بالتحديد بقي مجهولاً حتى تاريخ اكتشافها، وظهرت للعيان حضارة راقية بلغت أوجها في القرن الرابع عشر ق. م.، وأنفس ما فيها هيكل مكرّس للإله داجون، أبي بعل، وإلى جانبه مكتبة تحتوي على كمٍّ هامٍ من اللوحات الخزفيّة نُقشت عليها نصوص مختلفة بالخطّ المسماري البابلي، وبلغة كنعانيّة أوغاريتيّة، تشتمل على ملاحم شعريّة، وأساطير، وأدب ديني، ومعاجم، وكتب مدرسيّة، ولوائح ببضائع، وأسماء سفن وتجّار وشركات، ورسائل إداريّة، وتجاريّة، وعقود، ووصفات طبيّة. ترقى هذه الوثائق إلى أيام الملك نِقْمَدّو الثاني، أي القرن الرابع عشر ق. م.، ولكنها بالتأكيد هي أقدم من ذلك. تشير المواد المكتشفة إلى أن المدينة كانت على علاقة تجاريّة وحضاريّة مع بلاد ما بين النهرين، ومصر، وكريت، وقبرص، والعالمَ الإيجيّ، وغيرها.

اقتبس العبرانيّون اللغة الكنعانيّة وحضارتها كمادة أوّليّة لتحرير بعض نصوص العهد القديم، إضافة إلى مواد أخرى عدة؛ لذا، وبما أنّ لغة أوغاريت هي الكنعانيّة، فإنّ هناك قرابة بين الاثنين، ممّا دفع بعض الباحثين في لغة أوغاريت إلى استخدام العبريّة لفهم النصوص الأوغاريتيّة؛ لكن يجب الاحتراس من الذهاب بعيداً في هذا التوجّه، والتمادي في اللجوء إلى العبريّة لحلّ ألغاز الأوغاريتيّة، وإلاّ كان الوقوع في أخطاء مردّها إلى اعتبار بعض المظاهر اللغويّة الأوغاريتيّة عبريّةً، بينما الواقع هو أن الأوغاريتيّة تتضمن عناصر بابليّة وآراميّة، وعبريّة وعربيّة.

٢ – أدب أوغاريت

زوّدت نصوص أوغاريت البحّاثة بمعلومات تاريخيّة ودينيّة وسياسيّة ثمينة عن المنطقة، خاصة عن بلاد كنعان بين القرنين الثامن عشر والخامس عشر ق. م.، تُضاف إلى ما كان متوفراً من بعض الوثائق البابليّة والمصريّة ورسائل تل العمارنة، وكتب العهد القديم، وممّا دوّنه الكتّاب والمؤرخون الاغريق والرومان.

– **قيمة أدب أوغاريت الدينيّة** كبيرة؛ فعندما كان الكثيرون يكررون ما تقوله أسفار العهد القديم بأنّ ديانة الكنعانيين هي إباحيّة ونجسة ومُشرِكَة، تبيّن لنا، وبفضل اكتشاف نصوص أوغاريت وما ماثلها، أنها، على عكس ذلك، كانت تقوم على مُثُلٍ عليا وعلى عقائدَ راسخة.

– **قيمة أدب أوغاريت** كبيرة أيضًا، إذ يُلقي أضواء ساطعة على **لغة العهد القديم** وعلى بعض **المعتقدات العبرية** في نشأتها، الأمر الذي جذب اهتمام الأخصائيين في الأدبين الأوغاريتي والببلي[1].

قيمة أدب أوغاريت الاجتماعيّة، وما يتفرّع عنه في المجتمع الكنعاني، هامة من حيث فائدة هذا الأدب في ما يتعلّق بالعائلة، والأعراس، والولائم، والمآتم، والأعياد، الخ.

أمّا **قيمة أدب أوغاريت الفنيّة** في ملاحمه وأساطيره، فهي الأهمّ، مع أرجحيّة أن تكون تمثيليات فصليّة، فيها جوق وممثلون ومسرح، وأن تكون فيها أيضًا أعمال سحر ورَقي، تهدف إلى إلحاق الهزيمة بقوى الشر الكامنة في الطبيعة من أجل الحفاظ على الحياة، وتوفير الخير والبقاء في الحياة والسعادة. لذلك، تشكّل ملاحم أوغاريت (إذا جاز التعبير) وأساطيرها مصدراً هامًا للكثير من أبحاثنا الحضاريّة والبيبليّة المتنوّعة.

لقد أثار اكتشاف الأدب الأوغاريتي منذ ما يزيد على خمس وسبعين سنة، حماس علماء الآثار، والحضارات الشرق أوسطيّة، والباحثين في نصوص الكتاب المقدس العبريّة، معتبرين أن أجوبة هامة ستتوفر لهم في شأن مسائل حضاريّة متنوّعة كانت ما زالت مُعلّقة أو مبهمة.

٣ – تشابه وفرادة

بدّدت قراءة النصوص الأوغاريتيّة العديد من الأمور الملتبسة، إن على صعيد مفردات عبريّة كانت تشكل عقدة كأداء من حيث غموضها، وإن على صعيد بعض الطقوس والعبادات التي كانت أصولها وجذورها ودوافعها بحاجة أكثر إلى التوضيح، وغير ذلك.

لكن، بالرغم من الآمال الكبيرة التي علّقها علماء الكتاب المقدس على اكتشاف الأدب الأوغاريتي، ومن وجود عدّة أوجه شبه، فإنه من الواجب التمييز بين هذا الأخير وبين الأدب البيبلي؛ فهما ينتميان إلى عالمين متمايزَين، وإلى موقعين جغرافيين مختلفين:

– فأوغاريت مدينة كبيرة تقع في شمال غرب سوريا، اضمحلّت حوالي العام ١٢٠٠ ق. م.، أما أورشليم فتختبئ داخل أراضي جبال يهوذا حيث ترددت مسيرة أحفاد إبراهيم على مدى ألف سنة.

– أوغاريت مدينة تجاريّة هامّة، لها تواصل في هذا المجال في كل اتجاه، أما أورشليم فليست كذلك، باستثناء وجود مَن سيصفهم يسوع بأنهم "تجار الهيكل".

– في أوغاريت وثائق كثيرة وقيّمة، ولكنّها وُجدت مبعثرة في القصور والهياكل والمنازل وغيرها، أما وثائق بني إسرائيل فهي مجموعة في كتاب العهد القديم، الذي يحفظ أخبار الملوك العبرانيين وحولياتهم، ولكن الهدف هو ديني، بينما في أوغاريت فالهدف سياسي، ومدني، واجتماعي، واقتصادي، ودبلوماسي، وفني، وطقسي...

بالتأكيد هناك اختلاف واضح بين الأدب الأوغاريتي وبين النصوص البيبليّة في المضمون وفي الشكل:

– فلقد استغرق تحرير هذه الأخيرة حوالي الألف سنة، وارتبطت في ذلك باختبارات روحيّة وبأحداث تاريخيّة متلاحقة، طبعت هذه الكتابات بمجريات الأمور، إلى أن أضحت قانونًا لحياة شعب الله، إن في التوراة، وإن في الأنبياء أو المزامير والكتب الحكميّة، كما أيضًا مصدر حياة لهذا الشعب ورباطًا وثيقًا بين أفراده.

– بالمقابل، لا يصبو العنصر الماديّ الأوغاريتي إلى أن يكون قانونًا، ولا يصل إلى درجة يصبح معها مصدر حياة لجماعات دينيّة، وكانت نهايته دمار المدينة، وطمس تلك الحضارة، بينما يبدو العنصر المادي البيبلي عضويًا إلى أن يصبح دستور حياة.

– لا تتضمّن نصوص أوغاريت، التي استغرق تدوينها أو تحريرها حوالي القرنين، أي رواية عن الخلق كتلك التي نجدها في مستهل العهد القديم، ولا أقوالاً نبويّة، ولا حوليات بالمعنى الدقيق للكلمة، ولا قوانين كتلك التي في التوراة، بل نجد فيها ميتولوجيات وأساطير، كما أيضًا عقودًا ونصوصًا إداريّة، وهذا ما لا نجده في الكتاب المقدس بشكل عام.

بالرغم من كل ما تقدّم، لن يكون بمقدورنا أن ننكر أنّ أوغاريت

---

(١) أنظر مقالنا، في هذا الإصدار، الذي بعنوان: "بين نصوص أوغاريت والعهد القديم تفاعل وتمايز"، ص ٣٣–٤٣.

شكّلت عونًا ثمينًا للدراسات البيبليّة بما وفّرته من إمكانيّة للمقارنة والتدقيق.

٤ – نصوص أوغاريت مخزون كبير من المعلومات

لا معلومات بيّنة حول اتصالات مباشرة بين مملكة إسرائيل وأوغاريت، ذلك لأن الأولى صارت كيانًا قائمًا بذاته بعد خراب الثانية (سنة ١٢٠٠ ق. م.). بالمقابل، نعرف أن الكتاب المقدس الذي يمدّ جذوره بعيداً في الماضي، ويذهب بعيداً خارج حدود أرض فلسطين، له علاقة غير مباشرة بأوغاريت. فمنطقة "حرّان"، الموطن الأول لإبراهيم أبي الآباء، كانت على علاقة مع أوغاريت. وفي لائحة الشعوب التي يذكرها سفر التكوين، يرد اسما مملكتي صور وصيدون، جارتي إسرائيل، كما أيضًا اسمَا الأموريين والحثّين المذكورين في نصوص أوغاريت، ومملكة سيّنُو الصغيرة المجاورة التي لم تكن معروفة قبل اكتشافات سنة ١٩٢٩ في أوغاريت.

أضف إلى ذلك ما تزوّدنا به نصوص أوغاريت عن شعوب قديمة كانت تستوطن منطقة الشرق الأوسط، ونعرف شيئًا عنها من خلال حوليات الفراعنة ومسلاّتهم. بالمقابل، لا تفيدنا تقاليد الآباء بشيء محدّد عن هذا الأمر سوى ورود أسماء معيّنة أحيانًا.

كذلك، تفيدنا نصوص أوغاريت في معرفة أفضل لحياة أورشليم وإدارتها لأنّ المعطيات البيبليّة لا تزوّدنا إلا بالقليل في هذا المجال، ويمكننا أن نفسّر ذلك بكون البيبليا ذات مَرام دينيّة بالدرجة الأولى ولا تعنى إلاّ عرضًا بالأمور الأخرى. هكذا، وبفضل وثائق أوغاريت، صار بالإمكان تكوين فكرة أدقّ وأوضح عن سير الأمور الإداريّة في العاصمة العبريّة. وبفضل لوائح أسماء ضبّاط البلاط الملكي في أوغاريت، نستطيع الآن أن نفهم أكثر كيف كانت حاشية سليمان الملك الإداريّة.

هناك أيضًا لوائح بأسماء الحِرف والمِهن، وأسماء كهنة، ورعاة، وضباط، والرتب العسكريّة، ولوائح بالرواتب، وبتوزيع حصص شهريّة، ووضع المؤمن، الشيء الذي يذكرنا بـ"مدن الاحتياط" في الكتاب المقدس، ولوائح بالكروم، والملاّحات، وجداول بقطع الأرض.

أضف إلى ذلك، أن نصوص أوغاريت تكمّل ما لدينا من معلومات عن المسالك الدينيّة والمدنيّة التي أثارتها التدابير التي اتّخذها سليمان الملك في مملكته. ففي أسطورة "كِرِت" الملك الأوغاريتي، نعلم أن هذا الأخير فقد زوجته وعائلته، ثم تزوّج من ابنة ملك "أودُم" (وقد تكون "أَدُوم")، فرزق منها سبعة بنين وابنة واحدة؛ وإذ تمرّد البكر على أبيه، لأنّ هذا الأخير كان ظالمًا ولا يحكم بالعدل، انتقلت البكريّة إلى الابنة. تفيد هذه المعلومات في فهم المواقف التي كانت تواجه داود ثم سليمان وابنَيه في مسألة الوراثة، وفهم سبب دخول وجوه نسائية الساحة السياسيّة ووصولها إلى السلطة، نذكر، على سبيل المثال، "أشِيرَه"، و"عناة"، وأسطورة "أقهات" ابن "دانِل"؛ من خلالها نعرف أن المسائل الدينيّة والإنسانيّة كانت مطروحة في إسرائيل، كما عند جيرانها، الأمر الذي يسهّل علينا فهم معضلات سياسيّة ولاهوتيّة تعرّض لها الكاتب البيبلي عند تحرير نصوصه.

خاتمـــة

بفضل اكتشاف الأدب الأوغاريتي تزايد فهمنا للعالم الأوغاريتي والكنعاني الذي في إطاره نمت الديانة اليهودية. إنّ نصوص أوغاريت هي عونٌ كبير لفهم العهد القديم، ومفرداته، وبُنْيات تفكيره، وخلفيّاته التاريخية والدينية عامة. لكن يجب التعامل مع نصوص أوغاريت بعناية في عملية المقارنة، وأن يأخذ الباحث بعين الاعتبار ما يتعلّق بالتأريخ والمسافة الجغرافية.

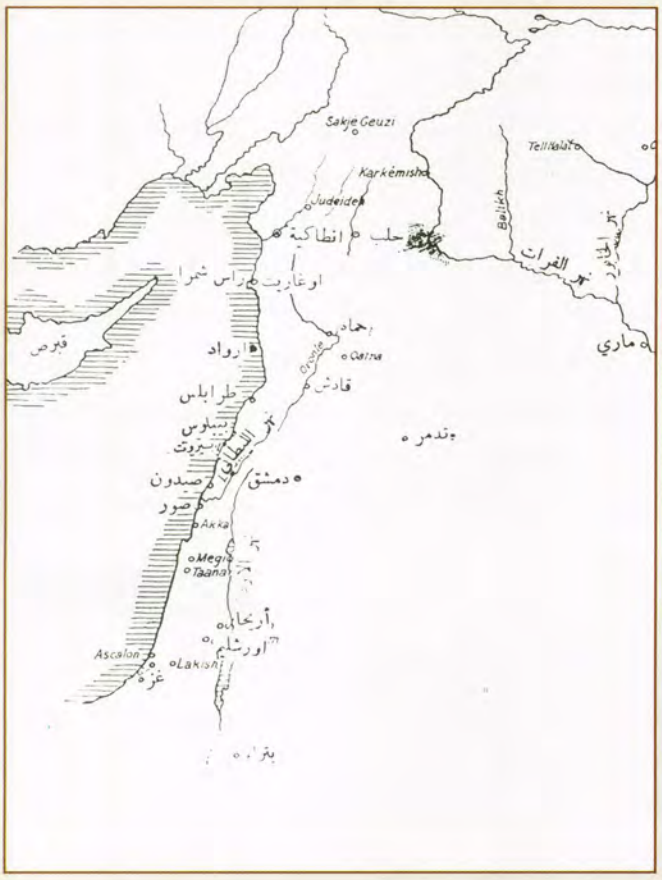

أوغاريت
الجغرافيا والتاريخ

الخوري بولس الفغالي

على بعد عشرة كلم إلى الشمال من اللاذقيّة، وعلى بعد كلم واحد عن شاطئ البحر، يقع التل الأركيولوجيّ، تل رأس شمرا، الذي بدأ البحث فيه منذ سنة ١٩٢٩. تغطّت أرضه ببقايا أوغاريت القديمة، التي كانت عاصمة كنعانيّة تسمّت باسم المدينة، وقد ازدهرت في الألف الثاني ق.م. ماذا نعرف عن جغرافية أوغاريت وعن تاريخها؟

١ – موقع أوغاريت ومحيطها

أ – المملكة وعاصمتها

أرض مملكة أوغاريت، كما عرّفتنا إليها الوثائق المكتوبة في حقبة البرونز الحديث، عرفت تحوّلات حدوديّة على مدّ تاريخها. ولكن نستطيع القول إجمالاً إن مملكة أوغاريت كانت تغطّي تقريباً محافظة اللاذقيّة الحالية، أي ٢٠٠٠ كلم مربع تقريباً، على شاطئ البحر المتوسط.

في الشمال، جبل بايرو، جبل البسيط. هناك ينتصب جبل صافون (ص ف ن و ، في الأوغاريتي)، جبل حزّي في النصوص الحثيّة والأكاديّة. دعاه اليونان جبل كاسيوس، وهو اليوم الجبل الأقرع. يرتفع ١٧٨٠م عن سطح البحر، يظهر خياله في الأفق الشماليّ ساعة يكون الطقس صاحياً.

وامتدّت المملكة في الجنوب إلى أرض سيانو التي نجد اسمها في نهر السن (جنوبي جبلة). سلسلة جبل الأنصارية (١٥٦٧ م) تفصله من الشرق عن مناطق الداخل فتمتدّ من البحر في الجنوب بحيث تضيق السهول الساحلية عند نهر السن، فتشكّل حدود المملكة.

وبين الجبل البسيط في الشمال وجبل الانصارية، تقع وادي رحبانو (النهر الكبير)، حيث نهر يجري طوال السنة، فيفتح في الشمال الشرقيّ الطريق نحو سوريا الداخليّة والفرات.

هذا عن حدود المملكة، فماذا عن محيط العاصمة؟

كانت العاصمة قرب البحر، على تل رأس شمرا. وامتدّت الحياة هناك قرابة ستة آلاف سنة، منذ العهد النيوليتي (الحجري الحديث، الألف الثامن ق. م.). وامتدّ حول المدينة سهل زراعيّ واسع، خصب ومرويّ بعض الشيء، فيفصل عن البحر التلال (هضبة الهلولية) وجبل الأنصاريّة. على بُعد كلم واحد من التل، مرفأ محادو (مينة البيضا، لوكوس ليمين عند اليونان، المرفأ الساطع) الذي يُرى من حي الهياكل على الأكروبول (أو المدينة العالية)، فيؤمّن النشاط التجاريّ.

وعلى بعد ٥ كلم إلى الجنوب، على صخرة رأس ابن هاني الذي يشكّل محرساً لأهل أوغاريت، بُنيت في القرن الثالث عشر، في حقبة امتداد وازدهار، عمارةٌ أُعطيت أكثر من اسم: أمو، بيروني، راشو.

إن وجود هذه الجبال والتلال، والقرب من البحر، أمّنا للمنطقة المحيطة بالتلّ مناخاً مؤاتياً للزراعة. فالسلسلة الجبليّة إلى الشرق، تحمي السهل من رياح ناشفة تأتي من الفيافي السورية، كما تحتفظ بالمطر الآتي من البحر ودرجات الحرارة ناعمة: متوسّط الصيف، ٢٧ درجة، ومتوسّط الشتاء، ١١ درجة. ويتوزّع المطر على

سبعة أو ثمانية أشهر، من الخريف إلى الربيع، فيصل إلى ٨٠٠ ملم في السنة.

ب – الزراعة والتجارة

يحيط بالتل «نهران» صغيران. في الشمال نهر الشّبيّب، وفي الجنوب نهر الدلبة (دُعي وادي براكو في أول تقرير عن الموقع سنة ١٩٢٩). يجتمعان إلى الغرب ليكوّنا نهر الغض أو بالأحرى نهر الغيض الذي يصبّ في خليج مينة البيضاء. هذه «الأنهار» التي تخضع لنظام الأمطار، تصبح جافّة خلال أشهر الصيف. غير أن هناك طبقة مائيّة تغذّي عدداً من الينابيع التي تجري عند سفح التلّ، وآباراً موزّعة في المدينة. وقد احتفظت السدود بالماء في هذه الطبقة، فحسّنت وضع الآبار والينابيع، أقلّه في جزء من فصل الصيف.

والمناخ المتوسّطي يؤمّن منذ القديم الزراعة التقليديّة المثلّثة: الكرمة، والحبوب، والزيتون، في السهل الساحلي، وتربية الغنم والماعز وأشجار اللوز والفستق...؛ أما اليوم، فزراعة الليمون بأنواعه. والتلال والجبال التي هي منطقة رعاية القطعان، فقد كانت مكسوّة بالغابات، مع الأرز والصنوبر والسرو والسنديان؛ كل هذا غاب اليوم، وما بقي سوى غابة في الشمال، على طريق كسب.

ولعب استغلال الموارد الطبيعيّة (معادن، زراعة، غابات) دوراً هاماً في النشاط التجاريّ، في التبادل البحريّ مع البلدان القريبة أو البعيدة (حتى حدود منطقة بلاد إيجه واليونان وغيرها)، كما في تأمين حياة السكّان، وفي تقنيّة البناء وتنوّع الهندسة. مثلاً، وُجدت عدّة معاصر زيتون، فدلّت على أهميّة هذه «المعامل» الزراعيّة.

وعلى مستوى البناء، كان في المنطقة عددٌ من المواد الأوليّة القريبة من أماكن العمل، الحجر، الطين، الخشب، القصب. جاءت حجارة البناء من مقالع شبيهة بتلك التي نجد آثارها في بلدة مقاطي (سُمّيت "قنطرة" في تقرير ١٩٢٩)، على بعد مئات الأمتار إلى الشمال من التلّ أو على شاطئ البحر في مينة الحلو.

وتسلّحت الجدران بعوارض خشبيّة جاءت من الجبال ومن التلال المجاورة. والسطح الترابيّ استند إلى جسور من خشب وإلى فراش من قصب (ينبت قرب السواقي القريبة). وُجد طلاء من الزفت على بعض الجدران في القصر الشمالي، وقد جاء من حقول قريبة مثل كفارية، التي تبعد ٣٠ كلم في صعودك وادي النهر الكبير.

نستطيع القول إن توسّع موقع رأس شمرا ارتبط بالواقع الجغرافيّ. من جهة، ظروف الطقس ساعدت النموّ الزراعيّ؛ ومن جهة ثانية، موقعه على شاطئ البحر مع مرفأ رائع، أتاح له التجارة عبر البحر: مصر، قبرص، شاطئ أناتولية (الأناضول)، بلاد اليونان... وفي الوقت عينه، استقبلت أوغاريت عبر طريق وادي النهر الكبير، القوافل الآتية من الداخل، من بلاد الرافدين وسوريا، والعالم الحثيّ وميتاني.

٢ – تاريخ أوغاريت

أ – من القبتاريخ إلى بداية التاريخ

تمتدّ هذه الحقبة من الألف الثامن إلى الألف الثاني ق.م.. نبدأ قبل التاريخ وما ترك من آثار، إلى أولى تمتمات التاريخ.

على تل رأس شمرا، كلام عن الحقبة الأوغاريتيّة في وقت عُرف اسم أوغاريت في النصوص، أي في المرحلة الأخيرة من تاريخ الإقامة على التلّ. فإذا وضعنا جانباً إشارة أولى معزولة (وهي لا تزال موضوع جدال)، نقرأ ما في إيبلا في الألف الثالث ق.م.، يجب أن نتوقّف في الألف الثاني، مع البرونز المتوسّط والبرونز الحديث. قُرئت شهادات عن اسم أوغاريت في ماري، على الفرات، في القرن الثامن عشر. وبعد ذلك في ألالاخ، في بوغازكوي (حتوشا) العاصمة الحثية، وفي تل العمارنة في مصر...، وفي أوغاريت في المرحلة الأخيرة من البرونز الحديث، حتى زوال المملكة بشكل نهائيّ في بداية القرن الثاني عشر.

في الواقع، ما زال التاريخ مجهولاً

بأكثره بالنسبة إلى الحقبات القديمة، من النيوليتيّ حتى بداية البرونز الحديث. مقابل هذا، فالنصوص التي وُجدت على التلّ منذ ثمانين سنة تقريباً، وخصوصاً أرشيف القصر الملكي المحفوظ منذ سنة ١٣٧٠ ق. م.، تعطينا الكثير عن الحقبة الأخيرة في تاريخ هذه المدينة، من القرن الرابع عشر حتى بداية القرن الثاني عشر.

كانت اسبارات في عمق الأرض، دلّت على أن الإقامة الأولى في هذا الموقع تعود إلى الألف الثامن. في الحقبة النيوليتيّة تلك، التي هي حقبة الانتقال من البداوة إلى الإقامة في الأرض، في سوريا ولبنان وفلسطين، أقامت مجموعات من الفلاّحين بعد صيّادي البحر وصيّادي السمك.

بعد سنة ٧٠٠٠، برزت تقنيّات جديدة في طريقة الحياة الزراعيّة (رعاية الحيوانات الداجنة)، وبناء البيوت (بيوت مستطيلة مبنيّة بالحجارة)، وصنع الأواني الفخّاريّة من أجل الاستعمال اليوميّ. كل هذا نجده في مواقع أخرى، في سوريا الداخليّة، وهذا ما يدلّ على نموّ حضارة ذات سمات مشتركة في الشرق الأوسط.

إن كانت الحقبة النيوليتيّة حقبة نموّ واسع في رأس شمرا، فالحقبة الكلكوليتيّة (الانتقال من الحجر إلى البرونز والنحاس) دلّت على أن الأرض المسكونة ضاقت بعض الشيء. فقد يكون رافق الانتقال من حقبة إلى حقبة، قلاقُلُ خطيرة مع مجيء سكّان من الشرق كانوا السبب في تحوّل عميق على المستوى الحضاريّ والثقافيّ.

نجد في ذلك الوقت علامة حضارة «خلف» التي ازدهرت شماليّ بلاد الرافدين وسوريا. ما يميّزها فخاريات مزيّنة ذات مستوى رفيع. في تلك الحقبة، تنوّع فنّ البناء في رأس شمرا، وتخصّص العمل في الفخاريات وغيرها، واتخذت تربية المواشي (الغنم والمعز) مكانة أكبر. نحن هنا في قسم من الألف السادس.

والمرحلة الممتدّة من الألف السادس إلى الألف الرابع، كانت مرحلة أقلّ ازدهاراً في رأس شمرا، تميّزت بارتباط مع بلاد الرافدين، وقابلت حقبة «العُبيد»، وبدأ ظهور النحاس. نحن هنا في حقبة البرونز القديم، بدءاً بالألف الرابع، مع توسّع في الأرض جعلت من التجمّع تجمّعاً مدينياً مع شوارع صغيرة ضيّقة، وسور يحمي المدينة. والبناء الذي أخذ يستعمل القرميد استعمالاً واسعاً في المرحلة الأولى من البرونز القديم، انتقل إلى الحجر ولا سيّما في الأبنية الدفاعيّة. والأدوات التي كانت من الحجر، صارت تُصنع بالبرونز والنحاس. والفخاريات المتنوّعة أبرزت علاقات مع ما في كيليكيا وسوريا وفينيقيا وفلسطين...، ثم مع سوريا الداخليّة، في منطقة عاموق والعاصي. والمرحلة الثالثة من البرونز القديم شهدت نمواً سريعاً في عمل المعادن. واستُعمل البرونز في صنع الأسلحة (رأس الحربة، خنجر...)، كما في صنع الأدوات المنزليّة (الفؤوس والإبر) والزينة (دبابيس).

في ذلك الوقت، أي حوالي سنة ٢٤٠٠ ق. م.، وُجدت، على ما يبدو، أقدم إشارة إلى اسم أوغاريت: أ غ. غا. را. أت، في لائحة أسماء أماكن وُجدت في إيبلا، في سوريا الداخليّة. غير أن التماهي مع المدينة الساحليّة، موضوع حديثنا، لم يُبرهَن عنه بعدُ بما فيه الكفاية.

وبدأت حياة جديدة على الموقع، حوالى سنة ٢٠٠٠، في حقبة البرونز المتوسّط، مع وصول بدو شرعوا ينتقلون من عالم البداوة إلى عالم الحضارة. هم الأموريّون الذين أتوا من سوريا الداخليّة. وبعض الذين أقاموا على أكروبول أوغاريت، مهروا في صنع المعادن: كُشفت عقود في القبور، مع تماثيل صغيرة من فضة، وسلاح من خناجر مثلّثة الزوايا، ورماح مع تجويف وفؤوس، ووُجدت قوالب، فدلّت على أن صنع هذه الأدوات كان يتمّ في هذا الموقع.

لا نعرف كيف كانت هندسة البيوت في تلك الحقبة. ولكن كُشِفَ عدد من المدافن الجماعيّة. مع المرحلتين الثانية والثالثة من البرونز المتوسط (١٩٠٠ – ١٦٥٠ تقريباً)

تطوّرت، بشكل لافت، حضارة جديدة في المدينة، حيث تقاليد ساحل سوريا امتزجت مع ما جاء به الواصلون الجدد. فغطّت المدينة كلّ مساحة التلّ تقريباً، وحمت نفسها بواسطة سور قويّ وُجدت صخورُه في هذا المكان أو ذاك.

في تلك المرحلة، بُنِيَ هيكلان واقعان على الأكروبول، كما بُني الهيكل الحثيّ (المنطقة الملكيّة، شمالي غربي التلّ)، أي في نهاية البرونز المتوسط أو بداية البرونز الحديث. وقد ظلّت هذه الهياكل مواضع عبادة حتى نهاية البرونز الحديث، أي بداية القرن الثاني عشر وسقوط أوغاريت بيد شعوب البحر.

أما «القصر الشمالي» الذي اعتُبر مبنياً في نهاية البرونز المتوسط، فقد يكون شُيّد في البرونز الحديث الأول (حوالي سنة ١٦٠٠). ولكن كان خالياً من السكّان، متروكاً، يوم بُني القصر الملكيّ في البرونز الحديث.

وقدّمت الحفريات عدداً من الأغراض في البرونز الحديث، آتية من مصر مع مدوّنات هيروغليفيّة واضحة: لؤلؤة على اسم الفرعون سيسوتريس الأول (١٩٧٠ – ١٩٣٦)؛ تمثال جنائزيّ صغير مع اسم أحد الموتى؛ تمثال رجال معروفين، وقد تشوّه مثل تمثال شنومات ابنة امانمحات الثاني وزوجة سيسوتريس الثاني، أو أبو الهول في معبد بعل. يبدو أن العداء ظهر على المستوى الدولي، أو هي تماثيل حملها الهكسوس معهم من مصر. وما يجدر القول هو المكان الهام الذي احتلّته العلاقات المصريّة مع ممالك الشاطئ المتوسّطي. ولكن نقصت الوثائق، بحيث لا نستطيع أن نتكلّم سوى عن فرضيّات حول سيطرة فراعنة السلالة الثانية عشرة على أوغاريت.

وذُكر اسم أوغاريت أيضاً في نصوص ماري على الفرات: رغبة ملك أوغاريت في أن يشاهد قصر ماري. زيارة ملك ماري إلى أوغاريت. إشارة إلى المدينة في الأرشيف الاقتصاديّ، ولا سيّما تجارة القصدير. وهكذا كانت علاقات متواصلة مع مدن الساحل كما مع بلاد الرافدين العليا.

إن نهاية البرونز المتوسط (حوالى ١٦٥٠) والمرحلة الأولى في البرونز الحديث (القرن ١٥) حتى مرحلة العمارنة، تبقى غير معروفة في أوغاريت، كما في مواقع أخرى من هذا الشرق. ما نستطيع أن نقوله هو أن أوغاريت عرفت مرحلة من القلاقل مع انحطاط موقت قد يكون وصل بالسكّان إلى ترك المدينة، أقلّه في صورة موقتة. إذا كان من تهديد، فالتهديد لم يكن تاماً، إذ بقيت الهياكل على الأكروبول حتى نهاية أوغاريت. وقد حافظت المدينة على اسمها خلال الألف الثاني كله.

انطلاقاً من القرن الرابع عشر، بدأت حقبة معروفة جداً، في الجزء الأكبر من البرونز الحديث؛ إلى هذه المرحلة تعود الأبنية التي هي ماثلة اليوم أمام العيون، حين يتنزّه السائح على التلّ.

ب – المملكة والوثائق المكتوبة (القرن ١٤ – ١٢ ق. م.)

بعد سنوات الظلام هذه، التي لا نمتلك عنها المعلومات الكثيرة، لأن الحفريات لم تصل إلى مدينة (وربّما كتابات) البرونز المتوسط؛ بعد ذلك، يتّضح تاريخ أوغاريت بشهادة وثائق مكتوبة قلبت رأساً على عقب معطيات العلم التاريخيّ. في هذه المرحلة حيث الكتابة تلعب دوراً بارزاً تتميّز بنهج أبجديّ مسماريّ، نجده هنا للمرة الأولى.

وشهد البرونز الحديث أيضاً ازدهاراً جديداً للتجمّع السكانيّ في المدينة، مع غنى بارز في المملكة، وسلطان واضح للملك. فبين القرنَين ١٥ و١٢، نمتلك لائحة تسلسل الملوك وعلاقاتهم مع القوى الخارجيّة، بفضل نصوص وُجدت في الخارج (تل العمارنة، مثلاً) وفي أوغاريت، وأختام تدلّ على وثائق رسميّة.

ارتبط تاريخ مملكة أوغاريت بتاريخ القوى التي تحيط بها: ميتاني، مصر، حطي، كل منها تركت أثرها. وهناك دويلات مجاورة معادية لأوغاريت أو مرتبطة بها بعلاقات

ودّية، مثل موكيش، كركميش، أمورو، سيانو، قادش، وممالك الشاطئ في الجنوب: جبيل، بيروت، صور، صيدا.

السلطة هي في يد الملك، وصلاحيّاته تزداد سنة بعد سنة، بحيث صار القصر الملكي، في نهاية البرونز الحديث، المركز الوحيد للقرارات ولتجميع الغنى. فالملك هو صورة الإله بعل على الأرض وممثّله معاً. وتُبَيِّنُه الصورُ كسلطان حرب قويّ، يقود مركبة الصيد (مثلاً على كأس من ذهب في هيكل بعل)، وككاهن الإله في لباس كهنوتيّ وفي حمى البعل (مسلّة بعل مع البرق). وما كُشف في الحفريات دلّ على أسماء ثمانية ملوك. في نصوص تبدأ في القرن الرابع عشر. يستعملون ختماً خاصاً بالسلالة، وهو يعود إلى يقرو، الذي هو أحد الأجداد الذي قد يكون ملَكَ في أوغاريت قبل ذلك الوقت بأجيال.

بفضل التزامنيّة التاريخيّة مع سلالتَي مصر الثامنة عشرة والتاسعة عشرة، ومع التاريخ الرافديني، اقترح البحّاثة سلسلة ملوك أوغاريت على مدى قرنَين من الزمن، منذ عمي شتمرو الأول حتى عمورابي آخر ملك في بداية القرن ١٢. يُذكر نيقمادو الثاني (١٣٧٠ – ١٣٤٠). أرحلبو (١٣٤٠ – ١٣٣٢). نقماقا (١٣٣٢ – ١٢٦٠) عمي شتمرو الثاني (١٢٦٠ – ١٢٣٠). ايبيرانو (١٢٣٠ – ١٢١٠). نيقمادو الثالث (١٢١٠ – ١٢٠٠). وحكم عمورابي حتى سنة ١١٩٠، ساعة سقطت أوغاريت تحت ضربات شعوب البحر، وأُخليَت من السكّان ودُمّرت.

من سنة ١٤٠٠ إلى سنة ١٣٥٠، سيطرت مصر على أوغاريت. حوالى سنة ١٣٦٠، شبّ فيها حريق دمّر جزءاً من القصر الملكيّ، فضاع الأرشيف السابق لهذا التاريخ في حفلة الترميمات. بعد نيقمادو الثاني، بدأ الأرشيف الملكي. ووثائق العمارنة وبعض وثائق نيقمادو الثاني بيّنت أن عمي شتمرو خاضع لأمينوفيس الثاني. وفي سنة ١٣٥٠، كانت معاهدة نيقمادو مع ملك أمورو، ولكن في إطار السيطرة المصريّة.

بعد سنة ١٣٥٠، كانت حملة ملك حطي شوبيلو ليوما على ميتاني والخاضعين له في سوريا، فسقطت ميتاني وخضعت معه أوغاريت، أمورو، قادش، للتسلّط الحثي. بعد فترة من البلبلة مع أرض نوحاس وكركميش، في عهد ملك أوغاريت نقماطا، تثبتت السلطة الحثّية، وتوضّح دور ملك كركميش كمنفّذ للسياسة الحثيّة في سوريا، فيفضّ النزاعات بين أوغاريت وسيانو في الجنوب، أو موكيش في الشمال. وكل هذا في خدمة الملك العظيم، ملك الحثّيين الذي يسيطر سيطرة تامّة على المنطقة.

في زمن ملك أوغاريت عمي شتمرو الثاني، كانت مرحلة مزاحمات ومعاهدات بين أوغاريت وأمورو، في سياسة زواجات متشعّبة تذكر الرسائل الملكية تغيّراتها المفاجئة. نكتشف التورّطات السياسيّة الدوليّة عبر الموقع الذي يحتلّه ملوك حطي وكركميش في هذه المناورات. وتشير نصوص عديدة إلى اتفاقات تجارية وقانونيّة لفضّ الخلافات في التعامل التجاريّ، أو لتأمين الحماية للقوافل. ووجود الموظفين الحثّيين في أوغاريت أمرٌ واضح. ولكن العلاقات التجاريّة مع مصر والمناطق التي تسيطر عليها مصر، تواصلت بعد المعاهدة الحثيّة المصريّة بين حتوشيلي الثالث ورعمسيس الثاني سنة ١٢٧٠ ق. م.

في منتصف القرن ١٣، ركّزت مملكة أوغاريت منابع الازدهار في يد السلطة الملكية، بفضل اقتصاد مزدهر وتجارة بحريّة بشكل خاص. ثم إن قوّة المدينة الحربية تراجعت. وفي سنة ١٢٣٠ تقريباً، حاول الملك ايبيرانو التهرّب من المشاركة الحربيّة التي طلبها الملك الحثّيّ. وفي نهاية القرن ١٣، ما عاد ملوك أوغاريت يرسلون جيوشاً لحطي، بل يشاركون في تمويل الجيش. أوغاريت مملكة غنية باقتصادها ولكنها ضعيفة بجيشها.

ج – نهاية حضارة (١١٩٠/١١٨٥ ق. م.)

حوالى سنة ١٢٠٠، مع نيقمادو

الثالث وعمورابي، بدأت المرحلة الأخيرة في أوغاريت. وأخذت غزوات شعب البحر تهدّد المدن الساحليّة، كما الملَك الحثيّ ومصر، بحسب شهادات الرسائل المتبادلة. ففي منعطف القرن ١٢، اهتزّ الشرق الأدنى بوصول مجتاحين جدد، جاؤوا في السفن، على مدى سنوات عديدة. نحن نعرف سيكيلا والفلسطيّين وتردانا...، الذين روى رعمسيس الثالث هزيمتهم في مدينة حبو، بعد أن انتصر عليهم سنة ١١٨٢. احتفظ الكتاب المقدّس بكلام عن الفلسطيّين الذين هم نسل «ف ل ش ت» الذين أقاموا على شاطئ تَسَمَّى باسمهم.

يبدو أن شعوب البحر هذه دمّرت أوغاريت كما دمّرت مواقع غيرها، ووُجد نصّ في أوغاريت يذكر «سيكيلا» الذين يعيشون على السفن، فيراقبون تحركاتهم. وأشارت الرسائل العديدة إلى هموم الملك عمورابي أمام الخطر الآتي من البحر، فطلب النصح من ملك مجاور. دلّت الأركيولوجيا على دمارات عديدة في أناتوليا وسوريا الشماليّة في حقبة قصيرة جداً: نهاية القرن ١٣، والعقود الأولى في القرن ١٢. أما بالنسبة إلى أوغاريت، فهو موت أوغاريت وحضارتها وثقافتها. أخذت المدينةُ التي لم يعرف عمورابي أن يدافع عنها بأسوار قويّة، وسُلبت وأحرقت، فتركها آخر سكّانها.

الخاتمة

تلك نظرة سريعة إلى مدينة ومملكة أوغاريت. خلال ستّة آلاف سنة تركت هذه المملكة أثراً كبيراً في تاريخ عصرها. والمكتبة التي وُجدت فيها تحمل إلينا المعلومات العديدة عن علاقة الدويلات بعضها ببعض، ومع الممالك الكبرى، مثل الحثّيين والمصريين، بانتظار الأشوريين. وما كانت نصوص أوغاريت إداريّة وسياسيّة فقط؛ ففيها النصوص الشعريّة، الأدبيّة، التي تروي عدداً من الأساطير والأخبار؛ والصور والعبارات الواردة في هذه الوثائق تساعدنا على فهم عدد من نصوص الكتاب المقدّس التي لبثت غامضة على الباحثين حتى أمد قريب. ونطرح السؤال: أهذا كل غنى أوغاريت؟ والجواب هو كلا؛ فالحملات المتتالية (سنة ١٩٨٦ – ١٩٩٤) بيّنت مثلاً أن شعوب البحر أتوا إلى المنطقة، سنة ١١٩٠ / ١١٨٥. كما توضّحت أمور عديدة، وإن تابع المعول عمله، لا شكّ في أننا نكتشف حقبة البرونز المتوسط، التي ما زالت غامضة إلى أيامنا. فمتى يفهم الشرق أهميّة الحفريات ولا يترك للبعثات الغربيّة أن تكشف الغنى الذي ندوسه بأرجلنا ولا نعرف قيمته ولا ثمنه؟!

العائلة المالكة في أوغاريت

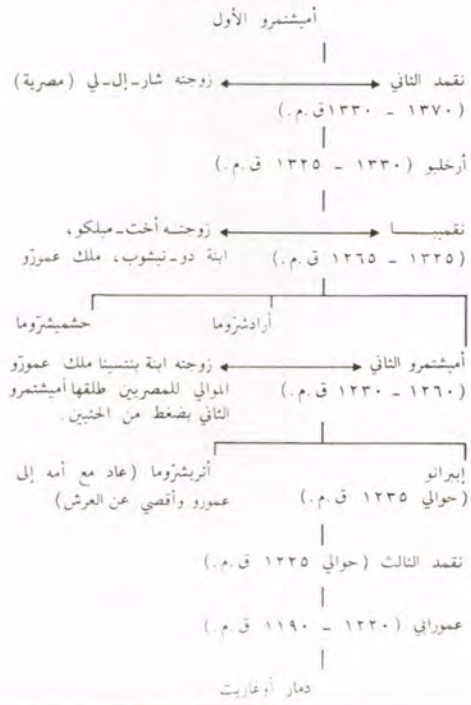

مملكـــة أوغاريـــت

الدكتور أنطوان القسيس
أستاذ التاريخ القديم واللغات الساميّة
في الجامعة اللبنانية

تقع مدينة أوغاريت على الشاطىء الشمالي لسوريا، على بعد ١٢ كلم شمال مدينة اللاذقية، على التل المعروف، حالياً، برأس شمرا. عرف هذا التل نشاطاً بشرياً منذ الألف السابع ق.م.، ليصبح، منذ العصر البرونزي، عاصمة لمملكة واسعة امتدت من نهر السن شمالاً وحتى النهر الكبير الجنوبي جنوباً، أي بمساحة تقريبية تعادل ٢٥ هكتاراً. أما العاصمة فقد شغلت مساحة ٢٠ هكتاراً. عاشت مملكة أوغاريت حتى العام ١١٨٥ ق.م.، حين تركها سكانها تدريجياً[١]، ولا علاقة لشعوب البحر بتدميرها، كما درج التقليد عند المؤرخين. نامت العاصمة تحت أرض تحولت بعدها إلى بساتين زراعية إلى أن جاءت الصدفة لتعيدها إلى النور خرائب غنية بكنوز الماضي.

كان ذلك في ربيع العام ١٩٢٨، عندما كان فلاح سوري، محمود ملاّ الزير، يفلح أرضه في منطقة "المينة البيضا" (وهو مرفأ مملكة أوغاريت ويبعد عنها ١,٥ كلم)، فعلق محراثه في بلاطة مقبرة قديمة. أُعلمت على الأثر المصلحة الفرنسية للعاديات في سوريا ولبنان (أيام الانتداب الفرنسي)، وكان يديرها، من بيروت، العالم شارل فِيرُوللو (Charles Virolleaud) الذي أرسل خبيراً أثرياً فرنسياً، هو ليون ألبانيز (Léon Albanèse)، لدرس المكان وإجراء مسح أثري في المنطقة المجاورة. عندها قررت المصلحة القيام بأعمال الحفر في الموقع المذكور وفي محيطه لتشمل التل المقابل للمرفأ والمعروف بتل رأس شمرا. بدأ الحفريات، أولاً، بيير ديلباس (Pierre Delbès) في العام ١٩٢٨ وأرسل عينات من قطع الفخار إلى متحف اللوفر[٢]. عرف العالم الفرنسي رينه دوسو (René Dussaud)، وكان يومها حافظاً في قسم العاديات الشرقية في متحف اللوفر، أهمية الاكتشاف الجديد، فسعى للحصول على التمويل اللازم وتكوين بعثة علمية أثرية أوكل رئاستها إلى كلود شيفر (Claude Schaeffer) الذي قام بحفرية على التل حيث اكتشف في ١٤ أيار ١٩٢٩، بعد خمسة أيام فقط من العمل، أول لوحة تحمل نصاً بالكتابة المسمارية[٣]، واستمر في أعمال الحفر حتى العام ١٩٧٠. تبعه هنري كونتنسن (Henri Contenson) بين عامي ١٩٧٢ و١٩٧٣، وجان–كلود مارغورون (Jean-Claude Margueron) بين ١٩٧٥ و١٩٧٦، ومارغوريت يُون (Margueritte Yon) بين ١٩٧٨ و١٩٩٨، وبعدها استلم الموقع إيف كالفي (Yve Calvet) وما يزال حتى اليوم. ومنذ العام ١٩٧٥ تقوم بعثة

(١) YON Marguerite - SZNYCER Maurice - BORDREUIL Pierre (éds), *Le pays d'Ougarit autour de 1200 av. J.-C.* (Ras Shamra - Ougarit XI), Actes du Colloque International, Paris, 28 Juin - 1er Juillet 1993, Paris, 1995.

(٢) Gabriel SAADE, *Ougarit: Métropole canaéenne*, Beyrouth, 1979, p. 38-39.

(٣) Sur cette période, voir: Claude SCHAEFFER, «La première tablette», *Syria*, 33, 1956, p. 161-168.

أثرية فرنسية سورية بإدارة كل من عدنان البني (مدير عام الحفريات الأثرية السورية سابقاً) وجاك لاغارس (Jacques Lagarce) بأعمال الحفر في موقع رأس إبن هاني حيث تمّ العثور على مجموعة سكنية هي عبارة عن قصرين وعدة بيوت كان قد بناها ملوك أوغاريت في القرن الثالث عشر ق.م.، كما عثر، أيضاً، على عدد لا بأس به من النصوص المسمارية[٤].

إن اكتشاف لوحة مسمارية، في موقع رأس شمرا، لم يكن بالجديد قياساً لما يعرفه العلماء من رقم مسمارية مماثلة كان قد تمّ اكتشافها في موقع العمارنة في مصر أو في مواقع أخرى من أرض الرافدين، لا بل إن اللغة الأكدية كانت متداولة، في الألف الثاني ق.م.، في المراسلات الديبلوماسية لمدن الساحل الكنعاني: جبيل، بيروت، صيدا وصور مع الفرعون المصري أمينوفيس الرابع - أخناتون وهي المعروفة برسائل العمارنة[٥]. المهم أن المكتشفات الجديدة قد أعطت ألواحاً بلغة أكدية قريبة من تلك المستعملة في مراسلات العمارنة، مما دفع بالعالم شارل فيروللو إلى تأريخها بالقرن الرابع عشر ق.م. لكن تطور الاكتشافات الأثرية والتاريخية المستمرة في الموقع المذكور وفي مواقع عديدة في سوريا أو في العراق، قد جعلت الباحثين يتفقون على أن نصوص أوغاريت تعود إلى أواخر القرن الثالث عشر ق.م.، وتحديداً حوالى العام ١٢٠٠ ق.م. لكن الأهم في تلك النصوص المكتشفة أنها أكدت على إسم المملكة أوغاريت. كان أ. فورير (É. Forrer) أول من حدد شفوياً، العام ١٩٣٠، إسم المملكة أوغاريت، تبعه وليم ألبرايت (W. F. Albright)[٦]، وشارل فيروللو[٧] العام ١٩٣١. تأكدت التسمية العام ١٩٣٣ من خلال مقدمة لوحة مسمارية مكتوبة من قبل "إلوميلكو ... كاتب نيكمادو ملك أوغاريت"[٨]. ومنذ العام ١٩٣٥ بات إسم هذه المملكة مؤكداً بعدما ورد في نص جديد هو عبارة عن رسالة مكتوبة باللغة الأكدية، وقد تمّ اكتشافها في منطقة نهر الفرات[٩].

أوغاريت في المصادر القديمة

إن أقدم دليل تاريخي يذكر مملكة أوغاريت يعود إلى القرن الرابع والعشرين ق.م.، حيث يرد إسم المدينة في نصوص مملكة إيبلا (تل مرديخ) المكتشفة العام ١٩٧٥[١٠]. إنما لا نستطيع، من خلال هذه النصوص، أن نستخلص معلومات واضحة حول وضع المملكة آنذاك. لكننا يمكن أن نرجح قيام علاقات اقتصادية وسياسة بين المملكتين من دون أن نفهم طبيعة هذه العلاقات.

تظهر النصوص الهيروغليفية المصرية، العائدة إلى عهد الأسرة الثانية عشرة في القرن التاسع عشر

(٤) A. BOUNNI - E. LAGARCE - J. LAGARCE, *Ras Ibn Hani, I. Le palais nord du Bronze récent, fouilles 1979-1995, synthèse préliminaire* (BAH 151), Beyrouth, 1998.

(٥) Cf. W.L. MORAN, *Les lettres d'El-Amarna* (tr. fr. de D. COLLON - H. CAZELLES), Paris, 1987; voir aussi: J. FREU, «La correspondance d'Abimilki, prince de Tyr, et la fin de l'ère Amarnienne», *Annales de la Faculté des Lettres et Science humaines de Nice*, 50, 1985, p. 23-60.

(٦) Voir, W. F. ALBRIGHT, «The Syro-Mesopotamian God Sulman-Esmûn and Related Figures», *Archiv für Orientforschung*, 7, 1931-1932, p. 165.

(٧) Voir, Ch. VIROLLEAUD, «Note complémentaire sur le poème de Môt et Aleïn», *Syria*, 12, 1931, p. 351.

(٨) RS 5. 155; Ch. VIROLLEAUD, «Fragment nouveau du poème de Môt et Aleyn-Baal (I AB)», *Syria*, 15, 1934, p. 226-243.

(٩) RS 6. 198; F. THUREAU-DANGIN, «Une lettre assyrienne à Ras Shamra», *Syria*, 16, 1935, p. 188-193; sur l'historique des fouilles, voir: M. YON, *La cité d'Ougarit sur le tell de Ras Shamra* (Guide Archéologique de l'Institut Français d'Archéologie du Proche-Orient 2), éditions Recherche sur les Civilisations - CNRS, Paris, 1997.

(١٠) Voir, Marco BONECHI et Francis JOANNES, «Eba et rois d'Ebla», dans Fr. JOANNES (éd.), *Dictionnaire de la civilisation mésopotamienne* (Laffont), Paris, 2001, p. 261-265.

ق.م.، أن أوغاريت أقامت علاقات متينة ومستمرة مع الدولة الفرعونية على زمن سيزوستريس الأول والثاني وأمنحوتب الثالث.

أما نصوص مملكة ماري (تل الحريري على نهر الفرات)، العائدة إلى القرن الثامن عشر ق.م.، فتذكر عدة مرات وبصورة واضحة أوغاريت كمملكة يحكمها ملك، بالأخص على زمن ملك ماري زمري ليم الذي زارها في السنة الحادية عشرة لحكمه[١١].

بينما تذكر نصوص مملكة ألالاخ[١٢] أوغاريت مرة واحدة في نصوص القرن السابع عشر ق.م.، ومرتين في نصوص القرن الخامس عشر ق.م.، وذلك كدليل ارتباط المملكتين مع مملكة الميتاني في الأناضول آنذاك.

لكن مع إطلالة القرنين الرابع عشر ق.م. والثالث عشر ق.م. تزداد المعلومات التاريخية حول المملكة وحول دورها وعلاقاتها السياسية والاقتصادية مع الدول المعاصرة لها، من الأناضول حتى مصر الفرعونية، مروراً بالحوض الشرقي للبحر المتوسط. تظهر أوغاريت في هذه الفترة كمملكة مزدهرة وناشطة، وإلى هذه الفترة تعود معظم الأبنية الأثرية التي تمّ الكشف عنها حتى اليوم. ترد أوغاريت بشكل واضح في أرشيفات القوى الكبرى أنذاك، لدى المصريين والحثيين الذين سيطروا أو تنازعوا عليها، ويؤكد أيضاً أرشيفها على ذلك.

إن العلاقات السياسية والاقتصادية المتوترة بين الدولة الفرعونية في مصر والدولة الحثية في الأناضول أدت إلى صدامات عسكرية بين الدولتين. فأرسل تحوتمس الثالث (١٥٠٤ - ١٤٥٠ ق.م.) حملات عسكرية إلى بلاد كنعان لإبعاد الخطر الحثي عن مصر، الأمر الذي أدى إلى دخول أوغاريت في نطاق النفوذ المصري، كما يبينه نص هيروغليفي محفور على إناء عثر عليه خلال حفريات أوغاريت. أستمرت علاقة الصداقة بين أوغاريت وخلافاء تحوتمس الثالث حتى نهاية القرن الرابع عشر ق.م. عندما دخلت في فلك النفوذ الحثي.

نملك، منذ العام ١٨٨٧، أرشيفاً مصرياً مهماً تمّ العثور عليه في موقع العمارنة. وصل حالياً عدد الرسائل التي يضمها هذه الأرشيف إلى ٣٨٢ لوحاً مكتوباً بالأكدية المسمارية، من بينها ٣٥٠ رسالة دبلوماسية مرسلة من حكام المدن الكنعانية، ومن بينها أوغاريت أو من الحثيين إلى فرعون مصر أمينوفيس الثالث أو إلى ابنه أمينوفيس الرابع المعروف باسم أخناتون، أو الى توت عنخ أمون[١٣]. يعطي هذا الأرشيف معلومات هامة جداً حول الأوضاع السياسية، العسكرية، الاقتصادية وبعض الإشارات الدينية لتلك المواقع المذكورة أعلاه. كما تبين مدى العلاقة وواقعها بين مصر الفرعونية وحلفائها في أرض كنعان، أقله طيلة النصف الثاني من القرن الرابع عشر ق.م[١٤].

نتبين من هذه الرسائل أن أوغاريت كانت مملكة غنية واسعة الأراضي، وإن لملكها قصراً كبيراً أعيد بناؤه بعدما دمره حريق هائل. كما تظهر الرسائل أزمات عسكرية بينها وبين ملوك أمورو، وأبرزهم عبدي عشرتا وابنه عزيرو. وهذا الأخير فرض على

(١١) Voir, Nele ZIEGLER - Dominique CHARPIN - Corine CASTEL, «Rois de Mari et ville de Mari», dans Fr. JOANNES (éd.), *Dictionnaire de la civilisation mésopotamienne* (Laffont), Paris, 2001, p. 496-503.

(١٢) حالياً مدينة أتشنا في تركيا على بعد ٢٠ كلم من مدينة أنطاكيا.

(١٣) Cf. W.L. MORAN, *Les lettres d'El.Amarna* (tr. fr. de D. COLLON - H. CAZELLES), Paris, 1987, EA 1, 39; 45, 35; 98, 9; 126, 6; 151, 55; voir aussi: J. FREU, «La correspondance d'Abimilki, prince de Tyr, et la fin de l'ère Amarnienne», *Annales de la Faculté des Lettres et Sciences humaines de Nice,* 50, 1985, p. 23-60.

(١٤) Cf. P. MONTET, *Byblos et l'Egypte,* Paris 1928 - 1929; L. SPELEERS, «Egypte», dans *DBS*, 2, 1934, col. 756 - 919; N. JIDEJIAN, *Byblos à travers les âges*, Beyrouth, 1977; G. SCANDONE, «Les sources égyptiennes», dans V. KRINGS (éd.), *La civilisation phénicienne et punique: manuel de recherche,* Leiden - New York - Köln, 1955, p. 57-63.

ملك أوغاريت نكمادو الثاني معاهدة دفع بموجبها ٥٠٠٠ وزنة من الفضة مقابل الحماية العسكرية من عزيرو لمملكة أوغاريت.

لكن الحثيين[١٥] بقيادة الملك شوبيلوليوما الذي قاد حملته الأولى ضد الممالك الأمورية ومملكة أوغاريت، فرضوا سيطرتهم عليها وألحقوها مباشرة بنائب الملك الحثّي المقيم في مدينة كركميش[١٦]. فرض شوبيلوليوما جزية على أوغاريت، قيمتها ٦٢٠ وزنة من الذهب، كما فرض على ملكها نكمادو الثاني عدة معاهدات أدخلت المملكة في فلك النفوذ الحثّي حتى العام ١١٨٠، حين تركها أهلها بعد أن دُمرت العاصمة ونُهبت على يد شعوب البحر. عرفت أوغاريت خلال فترة النفوذ الحثّي أوقاتاً صعبة، بالأخص بعد الموت المفاجيء للملك شوبيلوليوما الأمر الذي جعل ملك أوغاريت نكميبا الثاني يوقع معاهدة جديدة مع الملك الحثّي مورشيلي الثاني، قضت بأن يحمي الحثّيون أوغاريت، مقابل تركها لأية مبادرة مستقلة في السياسة الخارجية، لا بل كان عليها أن تلتزم السياسة الخارجية الحثّية بأدق تفاصيلها. أدى هذا الواقع الجديد إلى خسارة أوغاريت بعض أراضيها الجنوبية لاسيما منطقة سيانو. أظهرت بعدها أوغاريت إخلاصاً واضحاً للحثّيين إذ حاربت إلى جانبهم في معركة قادش. بينما شهدت العلاقة مع الأموريين أزمات مستمرة بالرغم من الزيجات السياسية التي حصلت بين ملوك الطرفين[١٧].

حفلت نهاية القرن الثاني عشر ق.م. بالأحداث الدرامية التي عرفتها أوغاريت وأدت إلى نهايتها. عبرت رسائل أرسلها الملك عمشتمرو، وهو آخر ملوكها، إلى ملك قبرص يعرض له فيها واقع مملكته تجاه الأحداث الجديدة التي تعيش مع هجمات شعوب البحر. وبالرغم من الجهود التي بذلتها قبرص والحثّيون وحلفاؤهم من الأموريين، فقد تمكنت القوى الجديدة من اجتياح الشاطىء الشرقي للمتوسط وتخريب أوغاريت، مما اضطر أهلها لتركها خراباً من دون رجعة حوالى العام ١١٨٠ ق.م.[١٨]

نتائج الحفريات الأثرية

أظهرت الحفريات الأثرية أن عاصمة مملكة أوغاريت قامت على مساحة تزيد على عشرين هكتاراً (٦٠٠م x ٥٠٠م)، ضمت المعابد والقصور والأحياء السكنية والأسواق التجارية التي بنيت بالحجر المهندم. كما استعملت الأعمدة الخشبية في ربط حيطان الأبنية وكساكف الأبواب وفُرص الأدراج.

يعتبر القصر الملكي البناء الأكثر أهمية في المدينة. بني في الجهة الغربية منها على مساحة سبعة آلاف متر مربع. أحيط بنظام دفاعي. يحتوي الطابق الأرضي على تسعين غرفة موزعة حول خمس صالات كبرى وحول حديقة القصر، وعلى إحدى عشر درجاً تؤدي إلى الطابق العلوي، وعلى سبعة أروقة، وعلى مجموعة من الغرف مخصصة لحفظ أرشيف القصر، وقد عثر عليه كاملاً المنقّبون. ينقسم هذا الأرشيف إلى التالي:

* أرشيف الجهة الغربية، يضم شؤون الإدارة والقرى والمدن التابعة للمملكة؛

(١٥) Sur l'influence et le rôle des Hittites durant cette période mouvementée du royaume d'Ougarit, voir, K. BITTEL, *Les Hittites,* Paris, 1976; T. BRYCE, *The Kingdom of the Hittites,* Oxford, 1998; R. LEBRUN, «Hittites», dans Jean LECLANT (dir.), *Dictionnaire de l'Antiquité,* PUF, Paris, 2005, p. 1083-1085.

(١٦) هي مدينة جرابلس الحالية على الحدود السورية ـ التركية.

(١٧) Cf. Jacques FREU, «Ugarit et les puissances à l'époque amarnienne (c. 1350-1310 av. J.-C.)», *Semitica,* 50, 2001, p. 9-39.

(١٨) Cf. B. LION, «Ugarit», dans Fr. JOANNES (éd.), *Dictionnaire de la civilisation mésopotamienne* (Laffont), Paris, 2001, p. 867-868; Jacques FREU, «La fin d'Ugarit et de l'empire hittite. Données nouvelles et chronologie», *Semitica,* 48, 1998, 17-39.

* أرشيف الجهة الشرقية، يضم مراسلات الملك والولاة الديبلوماسية وشؤون الإقتصاد؛
* أرشيف الوسط، يضم الشؤون القضائية والقانونية؛
* أرشيف الجهة الجنوبية مخصص لنصوص المعاهدات والاتفاقات ذات الطابع الدولي[١٩].

تبرز نصوص هذا الأرشيف النشاطات الملكية في إدارة المملكة والمواطنين التابعين مباشرة للملك والموزعين فئات حسب مهنهم، وفق نظام يشبه إلى حد ما التنظيمات النقابية المتخصصة. كما تجدر الإشارة إلى أن بعض النصوص يتحدث عن التجارة البحرية والموانىء التي وصلتها سفن أوغاريت، مظهرة بالتالي حسن العلاقة الأخوية بينها وبين المدن الكنعانية الساحلية.

إلى الجهة الجنوبية للقصر الملكي، تقوم ساحة صغيرة بُني إلى جانبها قصر صغير يعود إلى القرنين الرابع والثالث ق.م.، سكنته عائلة غنية امتهنت تجارة المواد الغذائية والأخشاب والمعادن، كما أكدته النصوص المكتشفة فيه. وتذكر أيضاً أن مواطنين من أوغاريت كانوا يسكنون في إرواد، وجبيل، وصيدا، وعكا، وأشدود وعسقلان.

إلى الجهة الشمالية للقصر الملكي، بُني أيضاً قصر آخر مؤلف من ٢٩ غرفة وممرات وصالة كبرى ودرج داخلي واحد. أظهرت الحفريات أنه أصبح خالياً منذ القرن الخامس عشر ق.م.، واستعملت حجارته في أبنية أخرى[٢٠].

أما في الجهة الشمالية الغربية للتل فقد عثر المنقبون على أبنية واسعة كانت تستعمل للاجتماعات المهنية أو للاحتفالات الكبرى التي كانت شائعة في أوغاريت.

عثر، أيضاً، المنقبون على منازل مختلفة الأنواع والأحجام والطوابق لعل أهمها منزل إيلوميلكو، رئيس كتبة الملك نيكمادو الثالث (١٢١٠ - ١٢٠٠ ق.م.). فقد وجدت فيه مجموعة من النصوص هي عبارة عن أرشيف المراسلات الرسمية، ونصوص اقتصادية ودينية وقواميس موسوعية وجداول مقاييس وأوزان[٢١].

كانت البيوت مجمعة في أحياء خاصة وفق مهن أصحابها الصناعية والتجارية. بينما أمكن التعرف إلى بيوت المزارعين من خلال تواجدها قرب الطواحين ومعاصر العنب والزيتون.

أما المعابد فقد أقيمت على أعلى نقطة في التل حيث عثر على معبد البعل ومعبد داغان. يعتقد خبراء البعثة الأثرية العاملة في أوغاريت بأن قبة معبد البعل كانت بارتفاع ١٥ متراً لتشكل بشعلتها الدائمة منارة للسفن الآتية إلى "مينة البيضا" مرفأ المملكة. ألحقت بالمعابد أبنية عدة من بينها المكتبة الدينية التي عثر فيها على النصوص الطقسية والدينية[٢٢].

يضاف إلى هذه المكتشفات المقابر المتنوعة وأهمها المقبرة الملكية التي هي عبارة عن غرفة مربعة معقودة يُنزل إليها بدرج. وهناك، أيضاً، مقابر عائلية مبنية تحت المنازل.

(١٩) Cf. A. CAQUOT - J.M. TARRAGON - J.L. CUNCHILLOS, *Textes ougaritiques* II. *Textes religieux et rituels. Correspondance,* (LAPO), Paris 1989; A.-S. DALIX, «Suppiluliuma (II ?) dans un texte alphabétique d'Ugarit et la date d'apparition de l'alphabet cunéiforme. Nouvelle proposition de datation des "Archives Ouest"», *Sémitica*, 48, 1998, 5-15; S. LACKENBACHER, *Textes akkadiens d'Ugarit. Textes provenant des vingt-cinq premières campagnes* (Littératures Anciennes du Proche-Orient 20), Paris 2002.

(٢٠) J. COURTOIS, «Yabninu et le palais sud d'Ougarit», *Syria,* 67, 1990, p. 103-142.

(٢١) A. CAQUOT - A.-S. DALIX, «Un texte mythico-magique», dans M. YON - D. ARNAUD (éds.), *Études ougaritiques* I. *Travaux* 1985 - 1995 (Ras Shamra-Ougarit 14), Éditions Recherches sur les Civilisations CNRS, Paris, 2001, p. 393-405.

(٢٢) Sur la publication de ces textes, voir, A. CAQUOT - M. SZNYCER - A. HERDNER, *Textes ougaritiques* I. *Mythes et légendes,* (LAPO 7), Paris 1974; P. XELLA, *I testi rituali di Ugarit* I (Studi Editions Recherche sur les Civilisations, Paris, 2000; Id., D. PARDEE, *Ritual and Cult at Ugarit* (Writings from the Ancient World), Atlanta, 2002.

عُثر في أوائل التسعينات، في الجهة الجنوبية للتل، على منازل جديدة وعلى شارع واسع وكبير يبدأ خارج منطقة الآثار الحالية. فهو يبدأ من المدخل الجنوبي للمملكة حيث هو عبارة عن جسر كبير متحرك كان مطموراً بين بساتين الليمون. نتبين من هذا الاكتشاف أن الجسر كان له قسم متحرك ربما كان من المعدن أو من الخشب، ويبدأ منه لجهة المدينة الشارع الأساسي المذكور أعلاه. كما عُثر على مجموعة جديدة من النصوص في بيت يُعرف حالياً ببيت أورتينو، ويزيد عددها على ستماية نص[٢٣].

يبدو من خلال أعمال الحفر، أن أوغاريت كانت منظمة تنظيماً مُدنياً دقيقاً، حافظت من خلاله على النواحي الصحية والحياتية العامة للمواطنين، بدليل وجود شبكة لجر مياه الشفة إلى المنازل وشبكة أخرى، بعيدة عن الأولى، للمجارير ولتصريف المياه المستعملة الآتية من المنازل أو من الحمامات الكثيرة الموجودة في كل منزل، إلى خارج المدينة[٢٤].

ثقافة المملكة

ما أن تمّ الكشف عن موقع أوغاريت والتعرف على أهميته من خلال الحفريات الأثرية، حتى انكب العلماء على دراسة النصوص المكتشفة وحل رموزها. بدأت المحاولات، أولاً مع العالم الفرنسي شارل فيروللو[٢٥] الذي تمكن من التعرف على رموز مسمارية عديدة وخلص إلى اعتبار الكتابة الجديدة نسقاً أبجدياً مكوّناً من ثلاثين حرفاً. تبعه العالم السويسري هنز بوير[٢٦] (H. BAUER) الذي أكد أن الأبجدية الجديدة تنمي إلى اللغات السامية وتمكن من قراءة سبعة عشر حرفاً. بينما تمكن العالم الفرنسي إدوار دورم[٢٧] (Édouard DHORME) من تحديد بعض الأعداد ومن تصحيح قراءة بعض الأحرف التي كان تعرف إليها بوير. هذه الجهود التي قام بها أولئك الباحثون بشكل منفصل ساعدت شارل فيروللو، العام ١٩٣١، على أن يقدم دراسة كاملة حول هذه الأبجدية الجديدة، معتقداً أنها مكونة من ٢٨ حرفاً. لكن الدراسات اللاحقة أكدت ما توصل إليه الباحثون الثلاثة مع فارق بسيط هو أن الأبجدية الأوغاريتية الطويلة مكونة من ٣٠ حرفاً[٢٨]. كما تعرف الباحثون في ما بعد على أبجدية قصيرة مؤلفة من ٢٢ حرفاً مشابهة في تراتبها ولفظها للأبجدية المخططة التي توصل إليها الفينيقيون[٢٩].

أدى حل رموز الأبجدية الأغاريتية إلى التعرف على الإرث الثقافي لهذه المملكة، وتبين للعلماء أن الأوغاريتيين كانوا يستعملون ثماني لغات هي: السومرية، والأكدية، والحثية، واللوفية، والحورية، والأوغاريتية، والهيروغليفية المصرية، والقبرصية ـ المينوية. وقد كتبت تلك اللغات وفق خمسة أنماط هي: المسمارية السومرية ـ الأكدية وقد

(٢٣) Voir P. BORDEUIL (éd.), *Une bibliothèque au sud de la ville (Quartier «Sud-Centre»). Les textes de la 34e campagne (1973).* Deuxième partie: *Les textes ougaritiques* (Ras Shamra-Ougarit VII), Éditions Recherche sur les Civilisations - CNRS, Paris, 1991.

(٢٤) M. YON (dir.), *Ras Shamra-Ougarit,* 1-14, Éditions Recherches sur les Civilisations CNRS, Paris 1983-2001.

(٢٥) Cf. Ch. VIROLLEAUD, «Le déchiffrement des tablettes alphabétiques de Ras-Shamra», *Syria,* 12, 1931, p. 15-23.

(٢٦) Cf. H. BAUER, *Entzifferung der Keilschrifttafeln von Ras Shamra,* Halle an der Saale, 1930.

(٢٧) Cf. Ed. DHORME, «Première traduction des textes phéniciens de Ras Shamra», *RB*, 40, 1930, p. 32-56; Id., «Le déchiffrement des tablettes de Ras Shamra», *Journal of Palestine Oriental Society* (=*JPOS*), 1931 = *Recueil E. Dhorme,* Paris, 1951, p. 531-536.

(٢٨) Cf. A. CAQUOT - M. SZNYCER - A. HERDNER, *Textes ougaritiques I. Myhtes et legends* (LAPO 7), Paris 1974, p. 34-41; A. CAQUOT, «La littérature ugaritique», dans *DBS*, 9, 1979, col. 1362-1365; P. DAY, Dies diem docet: The Decipherment of Ugarit, *Studi epigrafici et linguistici,* 19, 2002, p. 37-57; P. BORDREUIL - D. PARDEE, *Manuel d'Ougaritique,* 1-2, Paris, 2004, p. 15-17.

(٢٩) Cf. A. KASSIS, *Approche aux cultures méditerranéennes des origines* (projet **Culture méditerranéenne,** n° 2), éd. Communauté des Universités Méditerranéennes, Bari - Italie, 1995 (réimprimé au Liban, 1996), p. 61-70.

استعمل هذا النمط في الكتابة الحثية، والمسمارية الألفبائية لكتابة النصوص الأوغاريتية وأيضاً الحورية وبعض النصوص الأكدية، والهيروغليفية اللوفية، والهيروغليفية المصرية، وأخيراً المقطعية القبرصية – المينوية[٣٠]. تجدر الإشارة إلى أن النصوص المكتشفة حتى الآن في أوغاريت، تضم مجموعة مزدوجة أو مثلثة اللغة، الأمر الذي ساعد الباحثين على تطوير قراءة الجذور والكلمات التي شكلت سابقاً مشكلة لغوية وقاموسية.

إن النصوص التي كشفت عنها حفريات أوغاريت منذ ظهور هذه المملكة إلى العلن، هي التي أعطتها أهميتها التاريخية والحضارية بين ممالك الشرق القديم، إذ منذ الإكتشاف الأول ومع بداية النشر العلمي لها حتى تبين للعلماء أهمية مضمون تلك النصوص ومدى ارتباطها بتاريخ هذا الشرق بالأخص خلال عهد البرونز الحديث.

يكفي أن نلقي نظرة ولو سريعة على النصوص الأغاريتية لنتبين غنى مضمونها وتنوع مواضيعها. فهي تضم مواضيع ديبلوماسية وإدارية: مراسلات، عقود، معاهدات، لوائح ضرائب ورسوم، ولوائح بأسماء أشخاص أو مدن وقرى؛ ومواضيع دينية وطقسية وليتورجية وميتولوجية وأسطورية ولعلها الأكثر دراسة وأهمية بالنسبة إلى دراسة الفكر الديني في الشرق. وهناك المواضيع الطبية البشرية والبيطرية، ومواضيع فلكية، ومواضيع لغوية هي عبارة عن قواميس أو عن تمارين مدرسية لتعلم اللغة[٣١].

إن الغوص في تلك النصوص وإبراز مضامينها والتوقف عند مواضيعها المتنوعة والغنية يحتم على الباحث أن يفرد لها بحثاً خاصاً كي يتمكن، بالفعل، من إيفائها حقها وإيصالها بشكل عميق إلى القارىء. لذا يمكن العودة إلى المنشورات المتعددة اللغات التي أغنت البحث في هذا الباب والتي أوردنا جزءاً يسيراً منها في سياق بحثنا هذا.

لا بد، أخيراً، من التنويه بأن جهود علماء الآثار ما تزال منكبة على هذا الموقع وتكشف بشكل دائم عن لقى متنوعة تسهم في تعميق معرفتنا بمملكة أوغاريت وارتباطها بحضارات الشرق القديم.

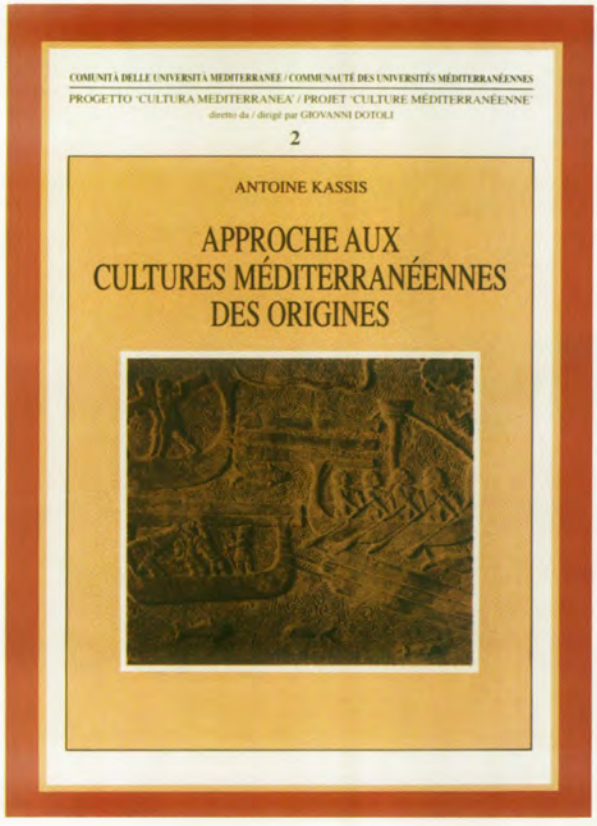

(٣٠) Cf. M. YON, «Ougarit», dans Jean LECLANT (dir.), *Dictionnaire de l'Antiquité,* PUF, Paris, 2005, p. 1597-1598.

(٣١) Voir, «Ras Shamra», dans *DBS*, 9, 1979, col. 1124-1466; P. BORDREUIL - D. PARDEE, *Manuel d'Ougaritique,* 1-2, Paris, 2004, p. 21-27; M. YON, «Ougarit», dans Jean LECLANT (dir.), *Dictionnaire de l'Antiquité,* PUF, Paris, 2005, p. 1597-1598.

التوحيد، الدين والتاريخ بين أوغاريت وأورشليم
مقاربات مارك سميث للعهد القديم على ضوء العلوم الأوغاريتية

د. دانيال عيوش

يعمل البروفيسور مارك سميث (Mark S. Smith) في جامعة نيويورك حيث يحاضر ويبحث في حقل الكتاب المقدس والشرق الأدنى القديم، وهو خريج جامعة ييل الأميركية بشهادة الدكتوراه في الدراسات الأوغاريتية. بين أشهر كتبه يذكر **نموذج الحج في سفر الخروج** (١٩٩٧)، **تاريخ الله القديم** (٢٠٠٠ طبعة ثانية)، **نشوء التوحيد في الكتاب المقدس** (٢٠٠١)، **قصص غير مسرودة: الكتاب المقدس والدراسات الأوغاريتية في القرن العشرين** (٢٠٠١)، **وذكريات الله** (٢٠٠٤). ما يجدر ذكره أن سميث يدير هيئة التحرير في مجلاّت علمية عديدة، وأنه عضو تنفيذي في الرابطة الكتابية الكاثوليكية في الولايات المتحدة، كما وأنه حصل على جائزة العلامة ميشال داود التي تمنحها جمعية الأدب البيبليّ (Society of Biblical Literature) لطلائع البحث في الشرق الأدنى القديم.

ينشغل سميث في مسألة التوحيد والتعدد في العبادات الشرقية القديمة، لا سيما الأوغاريتية والإسرائيلية منها، ويشدد في بحثه على نقاط التلاقي بين هاتين الديانتين، إذ أنه يعتقد أن الفصل التام بين التوحيد عند إسرائيل، والتعدد عند الأمم الذي يعلّمه معظم النقاد هو خطأ، كونه فرضية تؤدّي إلى أحكام مسبقة وتعرقل المعرفة العلمية للأمور.

الأديان القديمة في حوار

في القسم الأول من كتابه **نشوء التوحيد في الكتاب المقدس**، يقارب سميث الديانة الأوغاريتية الكنعانية من منظورين أساسيّين: من منظور لغويّ أدبيّ ومن منظور فلسفيّ لاهوتيّ، ويؤكد أنّ "هؤلاء القدامى لم يطوّروا مذهبًا فكريًّا مجرّدًا على نمط المنطق الفلسفي الماورائي، بل عبّروا عن لاهوتهم وواقعهم الديني بواسطة صور ترسم الألوهة في روايات وقصائد" (ص ٩٣). ثم ينتقل إلى وصف مجلس الآلهة في أوغاريت في ما يخصّ العلاقة العائلية بين الآلهة ذات شكل بشريّ والترتيب الوظائفيّ في المجلس. لا شكّ أن هذا النظام كان ذا تلوين خاص هنا وهناك، ولكن الخطوط العريضة كانت شبيهة في الشاطئ الشرقي من حوض البحر المتوسط، أي في منطقة سوريا وفلسطين. انطلاقًا من هذه الفرضية يحاول سميث أن يرسم، في القسم الثالث من هذا الكتاب، خصوصيةَ ديانة شعب اسرائيل الذي دوّن نصوصه الدينية في لغة مشتقة من العائلة الكنعانية. فبالنسبة إلى سميث إنّ نصوص العهد القديم تكوّنت في حضن الديانة الكنعانية بالرغم من التشديد الوارد في العهد القديم على اختلاف ديانة إسرائيل عن باقي الأديان.

الآلهة وأسماؤها

في البدء كان إيل، رئيس مجلس الآلهة عند الكنعانيين وإله الآباء في سفر التكوين. ولكن في ما بعد يأتي يهوه، الذي لا يُعرف في النصوص الكنعانية. ولكن بحسب سميث يساوي الإله بعل الذي احتلّ مكانة

الرئاسة في الديانات الكنعانية والفينيقية أثناء الألف الأول قبل الميلاد. اسم يهوه يعني بالنسبة إلى سميث "الخالق" إذ أن هذا الاسم الرباعي اشتقّ من جذر فعل الكون "ه ي ه" على الوزن "هِفْعِيل" الشبيه بالوزن "تفعيل" في اللغة العربية، والذي يدل على تعدية الفعل اللازم. تاليًا، يهوه يعني الذي يكوّن الكون، أي الذي خلق الكون ويضبطه. مع الوقت أصبحت الصفة "خالق" الملازمة لاسم إيل في العبارة "إيل يهوه" أي "الله الخالق" تحلّ محل اسم إيل. يدعم سميث نظريته بذكر اللقب "أبو البشر" المستخدم بكثافة في النصوص الأوغاريتية لإيل، والذي يتناغم تمامًا مع تفسير اسم يهوه بمعنى "الخالق". هكذا أيضًا يتضح معنى العبارة "يهوه صباؤوت" التي تعني ببساطة "خالق الجنود السماوية".

يضيف الكاتب أن الاسم المركّب "إيل يهوه" قد يدل، من جهة، على خصوصية الإله إيل، كما وأنه قد يدل، من جهة أخرى، على إله تابع لإيل الذي كان دوره في مجلس الآلهة أن يتمّ عملية الخلق وأن يضبط الخليقة. هكذا يفسّر أيضًا أسماء آلهة أخرى كـ "مخائيل" و"جبرائيل" و"رفائيل"، التي، إلى جانب اسم إيل، تحمل صفةً تدل على وظيفتها في مجلس الآلهة (راجع **ذكريات الله**، ص ١١٠ي). هكذا فإنّ "رفائيل" يعني "شافي إيل"، ويشدد إما على دور إيل كشافٍ أو على وجود إله معاون لإيل في قضايا الشفاء، كما أنّ جبرائيل قد يشدد على دور إيل كمحارب ضد قوى الشر أو قد يدل على إله آخر يعاون إيل في محاربة الشرّ.

نشوء التوحيد في العهد القديم

بين طروحات سميث المركزية يذكر أيضًا نظرية لنشوء التوحيد في اسرائيل (راجع **ذكريات الله** ، ص ١١٩-١٢٣). يعتقد سميث أن التوحيد تقوّى في إسرائيل في المرحلة الأخيرة للمملكة وأثناء السبي إلى بابل. طالما كانت المملكة مزدهرة وقوية كان الملوك يجيزون استيراد مجموعات آلهة رئيسية وثانوية تنسجم مع اعتقادات الممالك المجاورة. هذا ليس بغريب إذ أن الدراسات في الديانات القديمة تثبت أن مجلس الآلهة يزداد كمًا عند المدن والممالك الغنية والمتصلة بالتجارة العالمية، بينما المدن الفقيرة والمجتمعات الريفية كانت تكتفي بعبادة عدد صغير من الشخصيات الإلهية. هذا يتفق مع رأي سميث بأن التوجّه إلى التوحيد في إسرائيل أتى عندما خسرت المملكة استقلالها وأراضيها. حينئذٍ قررت السلطة الحاكمة تعزيز شأن الإله المركزيّ في الدولة وتمييزه عن غيره لكي تشدد على سيطرته ليس فقط على شعبه بل على كل الشعوب. ليس إله الأشوريين ولا إله الكلدانيين مَن يقرر مصير شعب إسرائيل، بل إلههم الخاصّ الذي عاقبهم بسبب خطاياهم، ولكن سيقيمهم من جديد بسبب إخلاصه للوعد الذي قطعه مع الآباء في القديم.

يرى سميث أن التوحيد ليس بمذهب عقائدي تكوّن بعيدًا عن الاعتقادات الدينية السائدة آنذاك، بل هو تفسير للواقع أثّر بشكل أساسي على رؤية بني إسرائيل للعالم (**نشوء التوحيد في الكتاب المقدس**، ص ١٥٤). إن ذاكرة بني اسرائيل الجماعية ساهمت في تكوين الرؤية التوحيدية الواردة في الكتاب المقدس بناءً على اعتقادات قديمة جدًا بآلهة متعددة (**ذكريات الله** ، ص ١٢٣). وصلت الذاكرة الجماعية في إسرائيل إلى دمج أفكارها الدينية والتاريخية واللاهوتية في سلسلة واحدة من الوثائق دُوّنت بأسلوب السرد الروائي الذي يمتد من سفر تكوين إلى ٢ ملوك في عرض متواصل لعلاقة الله بشعبه إسرائيل. هذا السرد الكبير خضع لأعمال تحريرية عديدة عبر الزمن، لكنّه بقي يحمل في نصوصه نواة الخبر القديم إلى جانب المعلومات الجديدة التي تعكس الوضع الحياتي الذي دفع المحررين إلى إعادة النظر في النص. لذلك، إنّ محاكاة أبناء إسرائيل لماضيهم على أسفار الكتاب المقدس تحتوي على عنصرين جوهريين: الأول هو الكفاءة في فهم معاني الماضي، والثاني هو

الالتزام بما تبنّاه بنو إسرائيل كماضيهم الخاصّ (راجع **ذكريات الله**، ص ١٢٤-١٥٨).

تاريخ البحث الأوغاريتي

بين مساهمات سميث العلمية نجد أيضًا كتابه عن تاريخ البحث الأوغاريتي الحديث الذي صدر سنة ٢٠٠١ بعنوان: **قصص غير مسرودة: الكتاب المقدس والدراسات الأوغاريتية في القرن العشرين**. يقسم سميث هذا التاريخ إلى أربع مراحل: مرحلة البدايات (١٩٢٨ - ١٩٤٥)؛ مرحلة الاستنتاجات والمقارنات (١٩٤٥ - ١٩٧٠)؛ مرحلة النصوص الجديدة والأزمة في مناهج المقارنة (١٩٧٠ - ١٩٨٥)؛ مرحلة الانبعاث في المناهج والأدوات العلمية (١٩٨٥ - ١٩٩٩). يأتي كل فصل بحواشٍ تقنية طويلة يُذكر فيها أبرز التطورات في المناهج المستخدمة في تلك المرحلة.

علاوةً على ذلك، يعرّفنا الكاتب على المسائل التي شغلت الأخصائيين والتي كانت مدارَ الجدل بينهم. إنه مرجع موثوق ودقيق لكل من يرغب في التعمّق في عالم الدراسات الأوغاريتية في حقلَي الأدب والدين، علمًا أنّ سميث لم يتطرق في هذا الكتاب، إلا بشكل ثانويّ، إلى قضايا التاريخ والمجتمع والاقتصاد في أوغاريت. يركز سميث في النص الرئيسي لهذا الكتاب على سرد الأوضاع الحياتية التي انطلق منها كبار الباحثين وتلاميذهم في عملهم اليومي. ومع أن سميث يقرّ بمعرفة أفضل لتطورات البحث الأوغاريتي في أميركا الشمالية، يجد القارئ صفحات عديدة تخبر عمّا حدث في البحث الأوغاريتي العالمي، كما في فرنسا، حيث نشأ هذا العلم، ثم في إسرائيل حيث ركز الدارسون على تأثير النصوص الأوغاريتية على الكتاب المقدس، وصولاً إلى ألمانيا وإسبانيا حيث أخذت هذه الدراسات مناحي جديدة.

خلاصة

لا شك أن كتابات مارك سميث أيقظت جدلاً مثمرًا بين الأخصائيين، وأن طروحاته فتحت أبوابًا جديدة لمفسّري الكتاب المقدس المسيحيين. دراسته الدقيقة للنصوص الأوغاريتية ومقارنته الفريدة لها مع أسفار العهد القديم ساهمتا في توجيه علم الأديان إلى الحوار مع العلوم اللاهوتية ولاسيما العلوم البيبلية. تستحق كتب سميث قراءة عميقة لدورها الإيجابيّ في ممارسة البحث المتعدد الاختصاصات، ولمقاربتها الإبداعية في المسائل الكلاسيكية، حتى لو بقيت بعض النظريات المطروحة تتطلب التحقق من صحتها في ما بعد.

المراجع:

كتب مارك سميث

The Memoirs of God. History, Memory and the Experience of the Divine in Ancient Israel, Minneapolis: Fortress Press, 2004.

The Origins of Biblical Monotheism. Israel's Ploytheistic Background and the Ugaritic Texts, New York: Oxford University Press, 2001.

Untold Stories: The Bible and Ugaritic Studies in the Twentieth Century, Peabody, MA: Hendrickson, 2001.

The Early History of God: Yahweh and the Other Deities in Ancient Israel, Grand Rapids, MI: Eerdman, 2001.

The Pilgrimage Pattern in Exodus with contributions by Elizabeth M. Bloch-Smith (Journal for the Society of Old Testament Supplement Series 239), Sheffield: Sheffield Academic Press, 1997.

أحـــد آلهـــة أوغاريـــت علـــى العـــرش

منشأ التوحيد في الكتاب المقدّس
شِرْك إسرائيل ونصوص أوغاريت

الأب جورج خوام

لم يعرف إسرائيل التوحيد منذ أوائل تاريخه، ولا أوْلى يهوه عبادته، في ما هو من شأن الدين، بل راج الشِرْكُ في وسط القبائل العبريّة رواجًا، ولم ينحسر عن معتقداتها إلاّ تباعًا، مخلّفاً آثاراً بقيت في ذاكرة النصوص والتاريخ، واستمرّت حيّة تحت أعراض تسميات متنوّعة. لقد تنبّه علماء كثيرون لظاهرة الشِرْك في إسرائيل، واجتهدوا في تفسير قيامه، ثمّ تراجعه فزواله، على أساس التاريخ، من جهة، أو على أساس النصوص المقدّسة، من جهة ثانية. بيد أنّ الأبحاث جرت، بعد اكتشاف أوغاريت سنة ١٩٢٨ ـ المدينة المعروفة باسم "رأس شمرا"، والواقعة على الساحل السوريّ، على مقربة من مدينة اللاذقيّة ـ هذه الأبحاث جرت على أساس علم مقارنة الأديان، فأتاحت في المجال كثيراً أمام فهم أشدّ ثقة وإيضاحًا لتخلّي إسرائيل عن شِرْكه، وحصره عبادته بإله واحد.

سوف نحاول، في هذه المقالة، أن نستعرض هذا المنحى من الأبحاث الكتابيّة، موجزين الوضع الراهن؛ فَحَسْبُنا منها أن نثير الاهتمام لدى الذين يهتمّون بأبحاث الكتاب المقدّس، فيولون عنايتهم هذه الناحية أيضاً لا شغفاً بالعلم للعلم، وإنما نبشًا وتنقيبًا وتمحيصاً في موضوع الوحي الإلهيّ. عسى أن نوفّق في قصدنا هذا، وإنما الله وليّ التوفيق.

١ – آلهة إسرائيل في القديم

أكبّ كثير من الباحثين، طوال عقود من الزمن، على البحث عن التوحيد ومنشإه في وسط إسرائيل، متقصّين عنه في نصوص الكتاب المقدّس، وفي الحفريّات الأثريّة التي كانت تبرز إلى العلن بعد كلّ حملة تنقيب أثريّ، أو في ثنايا التاريخ القديم. كانت هذه الثلاثة ـ النصوص المقدّسة، والحفريّات الأثريّة، والتاريخ القديم ـ دليلهم الوحيد إلى إثباتاتهم. وقد تلاقت قناعاتهم واستنتاجاتهم حول رسوخ التوحيد، في وسط شعب إسرائيل القديم، على أساس العهد الذي قطعه رؤساء القبائل العبريّة مع يهوه على جبل سيناء، في الصحراء، بعد تحريرهم من طوق السيادة الفرعونيّة عليهم، في بلاد مصر. غير أنّ الأمر لم يخلُ، بالنسبة إلى أولئك الباحثين، من معضلات شتّى لم يكن الشِرْك آخرها، إذ إنّ عدداً من آيات الكتاب يذكر في عدّة مواضع أسماء آلهة قديمة ذكراً خجولاً، أو قُلْ ذكراً حياديًا، بلا نقد أو تكفير.

وفي الواقع، إنّ الشِرْك عُدَّ متأخّرًا في إسرائيل، لما ألفى العلماء من نقد لاذع له من قبل الأنبياء؛ فحَسِبوا أنّ الشعب قد انزلق، بعد عهد الملكيّة في إسرائيل (القرن ١٠ ق.م.)، إلى عبادة آلهة الشعوب المحيطة به. ولكنّ العلماء أنفسهم وقفوا حائرين من أمرهم أمام عدد من المسائل، بالرغم من تصوّرهم الأمور على نحو ما تقدّم. ففي لائحة الوصايا العشر، لِمَ ينهى الله الشعب عن عبادة آلهة غيره، إذ لم يكن ثمّة آلهة في إسرائيل؟ ولدى عبور البحر الأحمر فراراً من أمام وجه الفرعون وجيشه، ما حافز العبرانيّين إلى إنشاد: "ليس إله مثلك، أيّها الربّ"

(خر ١٥: ١١)؟ أليس في مثل هذه المواضع من الكتاب دليل على الشِرْك عرفه بنو إسرائيل قديماً، ولم يعرضوا عنه، ولم ينبذوه، حتى قبل قيام الملكيّة في وسط الشعب؟! بل يظهر - عبر النصوص الدينيّة - أنّ إسرائيل لم يبلغ التوحيد إلاّ تباعاً، بعد أن انحصرت عبادته بيهوه، إله الآلهة (أي رئيسهم؟)، أو عظيمهم (؟). إن صحّ اعتقاد مثل هذا الاعتقاد، فهل ثمّة وسيلة نتوسّل بها استجلاء وجه أولئك الآلهة؟

في ٢ مل ٢١: ٧، يذكر الكتاب خطيئة منسّى، ملك اليهوديّة، الذي ابتنى ثانية ثمثالاً لعشتاروت، وأقامه في هيكل أورشليم للعبادة. وعشتاروت هذه إلهة كنعانيّة راجت عبادتها في أرض إسرائيل، إذ وُجِدت نقوش في خربة القوم تشيد بعظمتها وتكريمها كجزء من العبادة الواجبة نحو يهوه. وفي حب ٣: ٥ - الآية التي جرت الترجمات الحديثة كلّها الجري عينه، إذ أوردت نقلاً عن الترجمة السبعينيّة (اليونانيّة) بطريقة مبهمة المعنى "الحمّى والطاعون" كأنهما من حاشية الله - ذِكْرٌ لإلهين كنعانيّين هما دَبَر ورِشف. هذان الإلهان قد اقترن اسمهما بالكوارث الطبيعيّة، إذ هما إلهَا البرق والنار. وقد آثر نَقَلة الترجمة السبعينيّة - ربّما عن غفلة من أمر الواقع التاريخيّ - نَقْلَ اسمهما بمدلوله اللغويّ، فأتت الآية حب ٣: ٥ متعثّرًا فهمُها، مبهمًا مدلولها، لأنّ الصورة لا تفيد المعنى شيئًا عندما "يسير الطاعون والحمّى أمام وجه يهوه". أما إذا أعيد اسم هذين الإلهيَيْن إلى النصّ يمكن حينئذ إدراك ما يورده النبيّ في الآية السابقة ٣: ٤، إذ يتحدّث عن يهوه بهذه الألفاظ: "بهاؤه يكون كالنور، وله من يده أشعّة ...". فإنّ يهوه، إذاً، كبير آلهة عديدين يسيرون أمامه في عداد حاشية جليلة المهابة. إنّ آلهة أخرى يرد اسمها في ثنايا أسفار الكتاب، منها "قوّات السماوات"؛ فهذه تُذَمّ تارة (٢ مل ٢١: ٥؛ صف ١: ٥)، ويؤنس بحضورها طوراً (١ مل ٢٢: ١٩). إنّ "إيل" إله عَبَده الكنعانيّون، في بداية الأمر؛ ولكنّ إسرائيل ما لبث أن تبنّاه وولاّه على نفسه، مماثلاً إيّاه بيهوه. بل بعل أيضًا، ألدّ أعداء يهوه، إلهِ بني إسرائيل، وجد لنفسه مكانة مرموقة في عبادة بني إسرائيل عبر تاريخهم. وقصارى القول، إنّ هذه الآلهة المتعدّدة المشارب قلّما نعرف شيئاً عنها لو قصرنا بحثنا على أسفار الكتاب، فيما نجد لها وصفاً أوفر طولاً ودقّة في نصوص أوغاريت.

٢ - من الشِرْك إلى التوحيد

نقرأ في تث ٤: ٣٤-٣٥ ما يأتي: "هل حاول إله أن يأتي ويتّخذ له أمّة من وسط أمّة بتجارب... مثل كلّ ما صنع لكم الربّ إلهكم بمصر ...؟ فقد أُريتَ ذلك لتعلم أنّ الربّ هو الإله وأن ليس آخرُ سواه". في هذا النصّ محاولة جاهدة يقوم بها الكاتب الملهم لكي ينشئ رابطاً متيناً بين حقبتين متباعدتين في الزمن، مرّ بهما تاريخ شعب بني إسرائيل: حقبة سيناء، وحقبة الكاتب الذي يخاطب شعبه. ففي السؤال الذي يرمي به الكاتب على مسامع الشعب ظلالُ شِرْك يتلاشى: "هل حاول إله ..."، ويُجْهِد الكاتب نفسه لكي يعمل على اضمحلاله إذ يبيّن وحدة الإله الذي أنقذ الشعب قديماً في سيناء، والذي يجب على الشعب هنا والآن أن يتمسّك به معبوداً وحيداً لا آخر سواه: "فقد أُريتَ ذلك لتعلم أنّ الربّ هو الإله، وأن ليس آخرُ سواه". إنّ الكاتب الملهم، إذ إنه يشير إلى الناموس الأوّل، من خلال استذكاره حدث سيناء، حريص على أن يعيده إلى وسط الشعب مرّة ثانية، بعد إذ تيقّن من إعراض الشعب عنه ردحًا من الزمن. هذه المحاولة الجادّة لإحياء الناموس ثانية تسمّى تثنية الاشتراع. إنها مرحلة التوحيد في بني إسرائيل، وقد اتّخذت لها سبيلاً إلى حياة الشعب ابتداء من القرن ٨ ق.م.، وامتدّت حتى القرن ٦ ق.م.

وفي واقع الحال، إنّ حقبة التثنية المشار إليها تركت بصماتها في مواضع شتّى من الكتب الموحى بها، وفي الأقسام التي دُوِّنَتْ في هذه الفترة خصوصًا، ممّا نجده في إشعيا مثلاً (را إش ٤٣: ١٠-١١؛ ٤٤: ٦، ٨؛ ٤٥: ٥-٧، ١٤، ١٨، ٢١؛ ٤٦: ٩)، أو في ٢ مل ١٩: ١٥،

١٩. لقد شاع التوحيد، فحلّ محلّ الشِرْك، وأخذ به إسرائيل دين عبادة شيئًا فشيئًا. ولكنّ السؤال لا يزال ملحّاً على العلماء: لمَ حصل هذا كلّه في القرنين ٨ و٧، على وجه الخصوص؟

٣ – نصوص أوغاريت الدينيّة

من العلماء مَن رأى أنّ التوحيد في إسرائيل إنما جاء في هذه الفترة من تاريخه، بعد أن خبا وهج الشِرْك بين القبائل؛ ومنهم من ردّ هذا الأمر إلى أسئلة الحكماء من بني الشعب، الذين راحوا يبحثون في جدوى العبادة المختلفة؛ ومنهم، أخيرًا، مَن ردّ ذلك أيضًا إلى محاولة لمّ الشمل، وجمع الكلمة على إله واحد، فيؤول ذلك بالتالي إلى وحدة سياسيّة. إنّ هذه المحاولات بقيت كلّها في دائرة التنظير مهما بدا عليها طابع الحجّة المقنعة، لأنها لم يستطع أيّ منها تحديد الانقلاب الكبير الذي جرى في عبادة بني إسرائيل على أساس موثّق يمكن الرجوع إليه. هذا عينه ما حدا بالدكتور مارك سميث، الأستاذ المحاضر في جامعة نيويورك، لكي ينقّب في نصوص أوغاريت عن جواب مُرضٍ عن هذا السؤال. لقد بدأ العلاّمة بحثه انطلاقاً من مفهوم القربى بين الشِرْك والتوحيد، واعتقاداً منه بأنّ العبور لن يكون سليماً بين النظامين ما لم يكن بينهما نقاط شبه، أو تلاقٍ. فرأى الدكتور سميث عنصر التوحيد قائمًا في نظام الشِرْك الدينيّ لا في عدد الآلهة، بل في وحدة مجلسهم، وفي انتمائهم معاً إلى العائلة الواحدة. إنّ بنية هاتين المؤسّستين تؤلّف وحدة متماسكة في جوهرها، ولكلّ منها مستويات أربعة: الإله الأكبر وإلى جانبه قرينته (إيل وأشيرا)؛ ثمّ أولاد الإله وعددهم سبعون بمن فيهم بعل، وعشتاروت، وأنات؛ وربّما ضمّت السلالة رِشِف الآنف الذكر، وشابشو إلهة الشمس، ويرَق إله القمر. هؤلاء الأبناء الآلهة غالباً ما يُشار إليهم بأنّهم كواكب إيل؛ ثمّ، أيضاً، رأس بيت الألوهة، حافظ كنوزه والقيّم على شؤون مجلسه، كوثار وحاسيس؛ ثمّ، في آخر الكلّ، خدّام البيت الإلهيّ؛ وهم من أطلق الكتاب عليهم اسم "الملائكة" (يعني لفظ "الملاك" في اشتقاقه العبريّ "الرسول"، أو "المبعوث").

طرأ على هذه المنظومة الإلهيّة، المسمّاة شِرْكاً، والرباعيّة البنية كما بدا أعلاه، تعديل طفيف على تماسكها الأنظوميّ عندما أخذ التوحيد في إسرائيل يغلب على عبادة الشعب. فالإله الأكبر إيل، مثلاً، أمسك بمكانته ودُعي "ربّ الجنود"، وخُصّ بخضوع سائر الآلهة له من غير أن يُنبَذوا. كذلك الملائكة، فهم خدّامه، "الذين يعملون بمشيئته". ويبدو أنّ يهوه كان من ذي قبلُ أحد أبناء إيل، الذين أُوكِلَت إليهم، بل إلى كلّ منهم، رعاية أمّة من الأمم السبعين؛ هذا ما نجده في نصّ تث ٣٢: ٨ – ٩ اليونانيّ؛ أما نصّ الآيتين في العبريّة فأُجْرِي عليه تعديل لاهوتيّ: "[٨]حين أورث العليّ الأمم، ووزّع بني آدم، وضع حدود الشعوب على عدد "بني إسرائيل"؛ [٩]لكنّ نصيب الربّ شعبُه، ويعقوب حصّة ميراثه". يورد نصّ السبعينيّة اليونانيّ "بني الله"، عوض "بني إسرائيل"؛ هؤلاء تقاسموا ميراث الأمم، وحصل يهوه على ميراثه في بني يعقوب، شعبه. على كلّ حال، ما نطالعه في مز ٨٢: ١، في هذا الخصوص أشدّ إمعانًا في الوضوح: "الله في جماعة الله قائم، في وسط الآلهة يقضي"، حيث "جماعة الله" إنما هي آلهة يؤلّفون معاً مجلساً يرئس فيه إيل، ويهوه، أحد الجماعة، ينهض في وسطه ليقضي.

في زمن أشرفت فيه الملكيّة، في إسرائيل، على الزوال راح الإله يهوه يحلّ محلّ الإله إيل، حتى صار الواحد مرادفاً للآخر. وكان من نتيجة هذا التماثل بين الإلهين أنّ أشيرا الإلهة، زوج إيل، غدت بالفعل عينه زوجاً ليهوه. لم يحسن الأمر في حسّ بني إسرائيل، الذين ما عتّموا أن استقبحوا الفكرة، وبادر حكماؤهم إلى رفضها ونزعها من استعمال العامّة. في هذا الإطار الدينيّ، حيث أمسى الانقلاب من الشرك إلى التوحيد جاهزاً، راح يهوه يتمتّع بخصائص إيل نفسها، ويأخذ منه مكانته في ما بين الآلهة. يدعو المزمور ٢٩: ٢ "أبناء الله" ـ لا بالمعنى الروحيّ، وإنما الدينيّ–

التاريخيّ – إلى عبادة يهوه كأنه الملك الإله الأوحد. أما الهيكل، الذي طالما عُدَّ مسكن الآلهة في الزمن الغابر، فغدا مع نشأة التوحيد الجديد بلاط يهوه حيث يقيم بكلّ بهاء مجده. هذا ما يرتسم أيضاً في حزقيال ٨–١٠. وصورة البلاط هذه، حيث يسود الملك بجبروته، هي التي أغدقت شيئًا فشيئًا على صورة يهوه التوحيديّة سائر الخصائص اللاهوتيّة، من قوّة ومعرفة وحكمة ونصر. فزالت صورة الآلهة الآخرين من الذاكرة، إذ إنّهم انقلبوا صفات الإله الأوحد، فيما استبقى خدّام يهوه منزلتهم الأولى تحت شكل كائنات روحيّة تسمو على المخلوقات الأرضيّة قليلاً، وتقلّ مرتبة عن يهوه.

٤ – ظروف التوحيد

لا بدّ من الإجابة عن سؤال يتعلّق بالظروف التي رافقت هذه الثورة الدينيّة، في مطلع القرن ٨ ق.م.، ثمّ رسخت حتى القرن ٦ في تقليد بني إسرائيل الدينيّ. إنّ ما حدث في البنية الاجتماعيّة، في هذه الحقبة، ارتدّ على طريق عبادة الشعب على النحو الذي نما فيه تصوّر عالم الألوهة في أوغاريت. لقد أشرنا، أعلاه، إلى وحدة العائلة التي تميّز بها الشِرْك في أوغاريت؛ وكان ذلك تعبيراً عن وحدة المؤسّسة العائليّة عند أبناء تلك الحضارة. ففي إسرائيل، في زمن الملكيّة، كان الواقع الاجتماعيّ مشابهاً للحالة السائدة في أوغاريت. أما مع غروب ذلك الواقع، في أوائل القرن ٨، فقد تقاعست وحدة العائلة عن المحافظة على قوامها، وأخلت موقعها لكي يتّخذ الفرد حظوتها وسلطانها، فراح هذا يكتسب موقعاً بارزاً، ومسؤوليّة تجاه عائلته، ويتطلّع إلى تبوّؤ أعلى المراتب في بيئته. وكان هذا الأمر كافياً لكي تتزعزع أركان العالم الإلهيّ، المبنيّ على مبدأ الوحدة ضمن الأسرة الواحدة. فبرز يهوه بين أبناء إيل، وازدان تباعاً بأوصاف إيل نفسها، إلى أن حلّ محلّه في العبادة. وموجز القول إنّ تطوّر الوحدة الاجتماعيّة من العائلة إلى الفرد قاد تصوّر عالم الألوهة، في مطلع القرن ٨، من شِرْكٍ تسوسه نظرة العائلة الإلهيّة إلى توحيد يرعاه إله فرد ليس إله مقابله.

هناك ظرف ثانٍ كان له أبعد الأثر في التحوّل من الشِرْك، في القرن ٨، إلى التوحيد وسط شعب إسرائيل. إنّ ازدهار إمبراطوريّة أشور مجدّداً، في هذه الحقبة، وتنامي سطوتها حتى إنّ إسرائيل رزح تحت نير عبوديّتها مرّة أولى سنة ٧٢٢ ق.م.، ثمّ مرّة ثانية سنة ٥٨٦ ق.م.، تركا أثرًا حاسمًا في الرؤية الدينيّة لدى بني إسرائيل. فهؤلاء اعتقدوا دائماً أنّ الأمم الأخرى كان لها آلهتها، على غرارهم، وأنّ شوكة الأمم وشدّة بأسها وسلطانها تستمدّهما كلّ أمّة من شوكة الإله الذي تعبده، ومن شدّة بأسه. ولكنّ أشور اجتاح مملكة إسرائيل، ثمّ مملكة يهوذا؛ أيكون، بالتالي، أنّ آلهته أعظم من إله بني إسرائيل؟ عند هذا المنعطف، تيقّظ الحسّ الدينيّ لدى الشعب، وتذكّر نصرة يهوه له في سيناء، ثمّ غلبة الشعوب الأخرى والممالك، التي سقطت عند دخول بني إسرائيل إلى أرض فلسطين، والإقامة فيها. لا، ليس يهوه بإله بائس أو ضعيف! وإذا جرت الأمور على نحو مأساة، فالحكمة في تدبير هذا الإله. لقد وعى بنو إسرائيل في ذلك الوقت معنى العقاب على الخطيئة، وأهميّة التكفير عنها. بل ذهب فكرهم الدينيّ أبعد من ذلك، إذ إنّ منقذهم لن يأتيهم مخلّصاً من وسط الشعب، وإنما من بين صفوف شعب غريب. لقد عُدّ قورش محرّر بني إسرائيل من أسره في بابل.

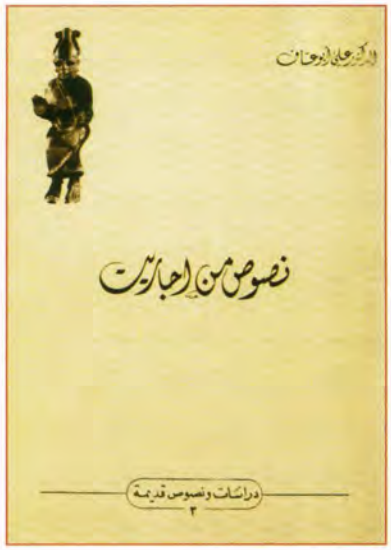

التــوراة الاوغاريتيــة

الأب سهيل قاشا

المقدمــة

تقع مدينة أوغاريت في تل رأس شمرا على بعد ١٥ كلم شمال اللاذقية، تمتد فوق هضبة ارتفاعها عشرون متراً عن سطح البحر ومساحتها حوالي ثلاثين هكتاراً.

اكتشفت أوغاريت عام ١٩٢٨ مصادفة عندما اصطدمت سكة محراث فلاح من أهالي قرية رأس شمرا بحجارة منحوتة ضخمة، تبيّن أنها سقف لمدفن أثري عائلي، وصل خبر هذا الاكتشاف الهامّ إلى السلطات في اللاذقية، وتشكلت على أثر هذا الاكتشاف بعثة أثرية للعمل في الموقع برئاسة عالم الآثار الفرنسي كلود شيفر. وقد أظهرت نتائج التنقيب الأثري في الموقع واحدة من أشهر الممالك السورية في تاريخ الشرق القديم.

وأهم عناصر هذا الاكتشاف النصوص الكتابية المخطوطة على ألواح من الطين والحجر، وهذه النصوص تخبرنا عن العلاقات الدولية، ورجال الحكم، والملاحم والأساطير، والمجمع الإلهي، والحياة السائدة في النصف الثاني من الألف الثاني قبل الميلاد في أوغاريت والمنطقة وقبرص وشرق المتوسط.

الاسم والهوية

يحمل الموقع حالياً اسم «رأس شمرا»، وسبب هذه التسمية هو كثرة انتشار نبات «الشمرة» فوق الهضبة التي تضم في باطنها آثار الموقع القديم «أوغاريت»، أما الاسم القديم «أوغاريت» فيعود في الغالب إلى حوالى أربعة آلاف عام خلت؛ وقد وجد ذلك الاسم في الرقم المكتشفة في عاصمة مملكة ماري القديمة على الفرات. وفي القرن عشر قبل الميلاد كان اسم أوغاريت معروفاً جداً لدى حضارات الشرق القديم، ويعتقد أن اسمها اشتق من كلمة «أوغارو» التي تعني «الحقل» في اللغة الأكادية البابلية.

المعتقدات

تعتبر النصوص الكتابية المنسوخة على الطين المشوي التي اكتشفت في أوغاريت أهم مصادر المعرفة عن الديانة خلال الألف الثاني قبل الميلاد؛ وكانت العبادات في أوغاريت منصبّة بشكل خاص على العبادات الزراعية لأنها مرتبطة مباشرة بالأرض والنبات والمناخ والنشاط البشري المجتمع الأوغاريتي.

ونستطيع أن نحدد تصورات الشعب الكنعاني الأوغاريتي الدينية، في مبدأين أساسيين:

أولهما: عملية الخلق الكوني من قبل ربّ واحد.

ثانيهما: الإنجاب والخصب وما يرافقهما من ظواهر طبيعية؛ وكان لهذه المعتقدات انعكاس مباشر على الفنون الأوغاريتية؛ فقد عشق الانسان الأوغاريتي الجمال الانثوي، فصنع إلهة الحب والحرب والخصب، وجسّدها بالتماثيل، وبنى لها المعابد. وقد تعددت الآلهة على اختلاف مظاهر الطبيعة.

الديانة والآلهة

يضمّ مجمع الآلهة الأوغاريتي الذي

يترأسه كبير الآلهة إيل، عدداً من الآلهة ذوي الاختصاصات المتنوعة؛ ومن الآلهة الأوغاريتية نذكر:

إيل: وهو كبير الآلهة، سادت عبادته كل مدن بين النهرين بدءاً من وادي الرافدين؛ وقد أطلق عليه الكثير من الألقاب منها: أبو البشر، وخالق الكون، والحكيم، والحاكم المطلق الذي يدير شؤون الآلهة.

بعل: ويعني السيد، الزوج، وتدور معظم الأساطير الأوغاريتية حوله، وهو ربّ الطقس.

دجن: عُرف في بلاد الرافدين وسوريا. له أهمية كبيرة، وله معبد في أوغاريت، وهو الاله الحامي، واهب الأرزاق والحبوب.

عشتار: هي إلهة سورية، واهبة الخير والخصب، وقد أشارت النصوص الأوغاريتية إلى مكانتها الكبيرة إلى جانب إيل.

هناك أيضاً آلهة أخرى أمثال سحر، وسالم، وكوثار رب الحرف والفنون، وقد ورد اسمه في النصوص الأوغاريتية، ويم إله البحار وغيرها[1].

الميثولوجيا

تتمتع أوغاريت بميتولوجيا خاصة، تبرز فيها العديد من الأساطير، نقف على اثنتين منها، وهي:

١- أسطورة دانيل وأقهت

كان دانيل ملكاً عادلاً ليس له ولد، فابتهل الى الآلهة التي رزقته ولداً أسماه أقهت، كان ولداً وسيماً. وعندما كبر، أصبح صياداً ماهراً. وفي إحدى رحلاته الى الصيد، طلبت منه الربة عنات قوسه وسهامه، مقابل مقدار كبير من الذهب، وأن تمنحه الحياة الأبدية. لم يوافق أقهت على طلبها، فغضبت منه الربة عنات، وذهبت إلى يفطان المقاتل السكير تطلب منه أن يقتل أقهت للحصول على قوسه وسهامه. وعد يفطان الربة عنات بتنفيذ طلبها، فحولته عنات الى عقاب، وطار إلى مدينة عبليم حيث يصطاد أقهت الطرائد ويقدمها أضاحي للرب إيل. انقضّ يفطان على أقهت وقتله. وجاءت عنات فأخذت القوس والسهام، وحاولت أن تعيد إليه الحياة من جديد، فلم تستطع لأنها لم تعثر على قلبه الذي أكلته العقبان، فأطلقت النواح نادمة على قتله، لأن في موته ستجفّ ثمار الحقول. عندما سمع دانيل بموت ولده أقهت، أطلق صراخاً مدوياً اختلط مع نعيق العقبان، ثم بكاه سبعة أعوام. أما بجت أخت أقهت فقد قررت الانتقام له من قاتله يفطان، فذهبت إلى مدينة عبليم وقابلت يفطان، وقدمت له الخمر الكثير حتى فقد وعيه، فانهالت عليه بالسيف وقتلته. علمت الربة عنات بموت يفطان ففرحت كثيراً، وطلبت إلى إيل الإله أن يعيد الحياة إلى أقهت، فاستجاب لها، وأعاد إليه الحياة، شريطة أن يمضي النصف الأول من كل عام مع الأحياء، يقدم لهم المطر والخير؛ أما النصف الثاني فيقضيه مع الإله موت ليحلّ الجفاف ثانية هكذا. وقد فرح البشر والنبات والحيوان كثيراً بعودة الحياة إليهم مع أقهت من جديد[2].

٢- أسطورة الملك كرت

كان الملك كرت غائباً عن بلاده؛ ولما رجع أخبروه بالغزو الذي قتل زوجته وأولاده ونهب أرزاقه، وهذا النبأ الأليم أفقده نسله، فحزن حزناً شديداً، ودخل مخدعه باكياً حتى أصبحت دموعه تتساقط على الأرض كالبرد، ثم نام مثقلاً بالهموم، فحلم أن الرب إيل أبا البشر قد اقترب منه وسأله عن سبب بكائه، هل هو رغبة في الملك أم الجاه كأبيه إيل، أو ربما يكون قد عرض عليه الملك والجاه، فرفض الملك كرت ذلك لأنه يرغب في الأولاد والخلف، فواساه الرب إيل طالباً منه دموعه وتقديم الأضاحي للإله إيل، فوافق الملك كرت، وأعلن ذلك مناجياً السماء من أبراج المدينة، وأعدّ جيشه الذي سيخرج معه للقتال، وهو من

(١) التفاصيل لدى جمال حسن حيدر، **أوغاريت**، طبعة أولى، دار المرساة، اللاذقية، ٢٠٠٢، ص ٧٩ – .

(٢) المصدر السابق، ص ١٧.

حاملي الأسنة والمرتزقة، والنجباء. وزحف بهذا الجيش كالجراد مدة ستة أيام؛ وفي اليوم السابع، عند شروق الشمس، وصل إلى المدينة أدم، التي لا نعرف موقعها؛ وبعد حصارها ستة أيام تعب ملك المدينة وشعبه وحيواناته، فأرسل رسولاً إلى الملك كرت يعرض عليه الذهب والعبيد والغلمان، مقابل سلامته وبلاده، فرفض كرت هذا العرض؛ ثم طلب الزواج من ابنته التي تشبه بجمالها ونقائها الربة عشتار. عندما استفاق الملك كرت من نومه، أيقن أنه كان يحلم، لكنه عمل بكل ما جاءه بالحلم وبكل ما أمره به الإله إيل، وسار بجيشه قاصداً أدم، وقدّم النذور، فتحقق له ما رآه في الحلم[٣].

التوراة الأوغاريتية

لقد كان لاكتشاف أوغاريت شأن بارز الأهمية في علوم الانسان حول الحضارات والثقافات القديمة. وقد دلّت مكتشفات أوغاريت في ميدان الأساطير والأفكار الدينية والتي كان في ذهن الناس أنّ التوراة العبرية من قبل مؤلفين عبرانيين هي أول كتاب شامل في هذا الموضوع، وأنها وَقْفٌ عليهم. جاءت مكتشفات مكتبة أوغاريت لتوضح أن هذه القصص والأساطير والأفكار والحكم التوراتية هي من إنشاء شعراء وكتّاب كنعانيين، و لم يفعل قدامى اليهود والمحدثين منهم سوى اقتباس هذه القصص والأساطير والحكم والأمثال، الخ.

إن النصوص الأوغاريتية التي تمت ترجمتها، تختلف بطبيعتها عن بعضها البعض. وهي تعود إلى أزمنة مختلفة، كان قد تمّ جمعها في وقت ما في مكتبة، وأنه بعد ترجمتها، أصبح بالإمكان معرفة طبيعة هذه النصوص وتوزيعها إلى مجموعات رئيسية:

أولاً: الأساطير

ثانياً: القرارات والأوامر

ثالثاً: الوقائع التاريخية

رابعاً: المزامير والصلوات.

إن جميع هذه الكتابات بالوضع الذي كانت عليه عند احداث مكتبة رأس شمرا كانت تشكل «التوراة الأوغاريتية»[٤].

إن ما أطلقناه هنا، عنوان «التوراة الأوغاريتية»، إنما قصدنا به إن ما نورده من نصوص هو لمجرد مقارنة معنوية مع ما يقاربها من نصوص توراتية، إذ لسنا هنا بمعرض المقارنة النصّية، إذ لا نجد ما بين النصّين من مقايسة أو اقتباس، إنما يجمع بينها التشابه العرفيّ الاجتماعي، كما سنرى من خلال موضوع مزامير وصلوات.

المزمور الأول[٥]:

شكوى أوبرسار(؟)

إلى «ذلك الذي يزن».

صلاة:

أخاطبك مسلماً

الخروف الذي يرتجف

وكلبي

لم تسمعهما من كثرة الرجفان

يرتجفون، يا للحسرة،

أذهلتهم البلبلة،

يرتجفون وينحنون تحت البؤس

أبناء شعبي، يد الآلهة اقتربت

لأنهم سيموتون

ذلك كثيراً

شيئاً من العاطفة ولتتجه إجابتك

نحو الخير

والجيوش تصلي

من أجل أن تستمع

إلى الأسماء، وتكتب

في الكتاب، اسم شعبي

لعل تعبير «استرحام» كان أنسب لهذا النص (١ ملوك ٨:٢٨، ٣٨) من لفظة «شكوى» الواردة في مطلعه. والمزمور

(٣) المصدر نفسه، ص ١٧ .

(٤) هـ. ١. ديل ميديكو، **التوراة الكنعانية**، ترجمة جهاد هوّاش وعبدالهادي عباس، طبعة أولى ١٩٨٨، دمشق، مطبعة الشام، ص ٢٢ – ٢٤.

(٥) نشره السيد ش. فيرولّو في مجلة **سورية**، عام ١٩٣٣، ص ٢٣١.

في مجمله يشبه ابتهالات إيلي ميلكو. على أن المزامير، رغم الصيغة الدينية التي تكسوها، تعتبر وثائق تاريخية مثلما هي الحال بالنسبة إلى مزامير العهد القديم.

صلاة اوبرسار (؟) جافة بعض الشيء. تصميمها بسيط: اسم المصلي، إشارة إلى الإله المخاطب، صيغة السلام، سرد الوقائع، طلب الرأفة، إشارة إلى النتيجة المرجوة.

أما بالنسبة إلى المعتقد، فجميع الشرور والآلام التي تحلّ ببلد ما، أو بشعب ما، هي من صنع إله محلي. عندما يكثر الموت في منطقة ما (بسبب مرضٍ سارٍ؟)، يكون ذلك في نظرهم بسبب قدوم آلهة البلاد إلى هذه المنطقة. رأفة الإله تظهر بإجابة تميل إلى الخير، ويبدو أن «سيت»، إله الجحيم، كان يمسك كتاب الحياة حيث يسجل أسماء الأحياء كافة. وعند ذكر الأسماء كان هذا الإله يجيب بقبول أو رفض بقاء الاسم في السجل (مزامير ٦٩:٢٦؛ ١٣٩:١٦؛ خروج ٣٢:٣٢؛ دانيال ١٢:١).

المزموران الثاني والثالث[٦]:

إلى الملكة
سيدتي
ابتهل
شكوى تالمين
خادمك
على قدمي
سيدتي،
من أجل أن يكون ذلك حباً ببلادهم
ومن أجل نهاية المصاعب
على بلدانهم
نذلّ أمامك
شعوب سيدتي
الجيوش تصلي
من أجل السلام، وليعد السلام
لخادمها.
.....
إلى أمي، وهي سيدتي،
الصلاة،
شكوى تالمين
وشكوى شقيقة الملك. خادماك
على قدمي من هي سيدتي
بلادهم
أذلّتها الآلهة
ستكونين تلك التي توقظ
ستكونين تلك التي تعيد السلام
أنظري، إن «العموني»
أكثر من المدايح
أعيدي السلام
لأني، حقاً هزمت،
ستكونين المرشدة، تلك التي تسمى
الشعب، أنت من هي سيدتي
الجيوش، من أجل السلام
نصلي، وليعد السلام
إلى خادمك.

مؤلف المزمورين اسمه تالمين (TALMAYN). يذكّرنا هذا الاسم بتلماي الذي ورد ذكره في العهد القديم (يشوع ١٥:١٤)، والذي هزم في منطقة حبرون، خلال حروب يهوذا المكابي قبل عهد الملك الكبير (؟). كان تلماي، حسب ما جاء في العهد القديم، من عمالقة العناقين، علماً بأن صفة العملاق كانت تطلق في ذلك الزمن على كل عدو مقتدر. هذا من جهة، ومن جهة ثانية، نجد أن أكثر من شخص كان يحمل اسم "تلماي" في العهد القديم (١ صموئيل ٣:١٣: ١٣:٣٧)، لذلك لا نستطيع الجزم بأن تالمين هو نفس تلماي.

كان تالمين يحكم بمساعدة زوجته (يسميها أخته) بلاد كنعان؛ يبدو أنه تنازل عن لقب "السيد" من قبيل التواضع. بقيت البلاد تُدار من قبل حكام محليين، كما كانت في عهد الملك–الكبير. نراهم هنا يستعملون تعابير مثل «بلدانهم» و«شعوب سيدتي» بدلاً من تعبير «الأرض» الذي كان مستعملاً في عهد الملك – الكبير.

ومحور المزمورَين يدور حول المطالبة بإحلال السلام من جديد، علماً بأن البلاد كانت في حالة حرب مع «العمونيين». في العهد القديم، نجد إشارة إلى حربَين وقعتَا مع هذا الشعب:

(٦) نشرها السيد فيرولّو في مجلة سورية، عام ١٩٣٨، ص ١٤٢ – ١٤٦.

الأولى في فلسطين، في بداية حروب يهوذا (؟) (قضاة ٣:١٣ - ١٤) وانتهت باستعباد بني إسرائيل لمدة ثمانية عشر عاماً، والثانية (قضاة ١٠:١١) وقعت في أرض جلعاد، في عهد يفتاح. هذا ولعل المذابح التي تعرض لها الشعب الكنعاني، تمت خلال الحرب الأولى.

والآلهة الوحيدة من بين الآلهة التي يَرِدُ لها ذكر، دون أن تُسَمَّى، في هذا النص، هي عشيرات، ويلقبها العاهل «مليكتي»، و«سيدتي». والعاهل يُعتبر ابناً لعشيرات بصفته ملكاً كنعانياً، وعليه أن يخاطبها بلفظة «أمّي». تستطيع عشيرات «إيقاظ» البلاد وإعادة السلام، كما تستطيع أن تسمّن الشعب، الخ. يعد الملك عشيرات، على ما يبدو، بأنه، في حالة النصر، سوف تتسلّم هي «قيادة» الشعب، غير أنه يبدو كذلك أن خَلَفَ الملك لم يتقيّد بهذا الوعد، وأن عبدي – أشيرتا وأتباعه، احتكروا عبادة هذه الآلهة.

ومظاهر العبادة بهذا المزمور هي الصلاة، الشكوى، التمرغ على قدمَي الإله. الشعب والجيش يشاركان في هذه العبادة، والعاهل هو الذي يعبّر عن شعور الشعب.

المزمور الرابع[٧]:
إلى الملكة
أمي، الرجاء،
وشكوى الملك
ابنها
على قدمي أمي
أُذلّ نفسي لأمي...
فتكونين أنت من يوقظ
تكونين أنت من يعيد السلام
أعيدي إليّ المجد، العموني
كثرت مذابحه...
أعيدي السلام،
وسمّني الشعب، يا أماه
كيف يمكن أن ننسى نذر
ذبح شعبنا، أيتها الملكة
وصلواتي إلى...
من أجل الأمل، ومن أجل إيقاظ
الروح القتالية، لدى الملك

مؤلف هذا المزمور يلقّب نفسه «بالملك»، مثل داود الملك العبراني. كان على الأرجح أحد الملوك المحليين، ويمكن الافتراض أنه عاش في زمن تالمين، وأكيداً قبل زمن داود الملك.

لا يبدي الملك الكبير هذا اهتماماً بمصير البلاد ككل، بل يحصر اهتمامه بالحالة الخاصة التي وجد نفسه فيها. «الشعب» الذي يذكره هو شعب منطقته، والجيش هو جيش المنطقة. كان على هؤلاء «الملوك» المحليين أن يقاتلوا العدو، وهذا «الملك» يستعطف الآلهة لكي تمنحه المجد والروح القتالية؛ ونلاحظ هنا أن أمثال هذه الطلبات لا ترد في صلوات الملوك الكبار.

هنا أيضاً، الإلهة عشيرات هي الإلهة الوحيدة لا التي يخاطبها الملك، ويعتبرها أمّاً يسميها أيضاً «الملكة».

والملك وحده هو الذي بذل نفسه خضوعاً للآلهة. شعبه يكتفي بالمشاركة في الصلاة وبوعد تقديم الذبائح. ونلاحظ هنا أيضاً انه غالباً ما يتم تقديم الذبيحة إلى الإله في حال تلبية الطلب فقط. غير أنه لا يُسْتَبْعَد تقديم عربون في هذا الحالة.

وإذا قمنا بمقارنة هذه الصلوات مع تلك التي في أخبار إيلي ميلكو، نجد أنّ أسلوباً خاصاً كان يستعمل في هذه الحالات، وقد يدمجون في هذه النصوص نصوصاً قديمة تتوافق مع الظروف الجديدة. على أنه من الواجب علينا الاعتراف بأنّ المزامير الأربعة التي وصلتنا، ليست من أجمل ما نعرفه في هذا المجال.

ولولا ضيق المجال، لكنا تطرّقنا بهكذا تحليل مع باقي أجزاء **التوراة الأوغاريتية**: القرارات والأوامر، والوقائع التاريخية، ومدى المشابهات الموجودة بينها وبين العهد القديم، نؤجلها إلى فرص أخرى.

(٧) نشره السيد فيرولّو في مجلة سورية، عام ١٩٤٠، ص ٢٥٠ – ٢٥٣.

النتيجة

إن التوراة الكنعانية، وهي مبنية على بضع لوحات مبتورة، تمّ اكتشافها في رأس شمرا، هذه التوراة لم تكتمل بعد. هذا بالإضافة إلى أن ترجمة هذه النصوص لم تصل بعد إلى الدقة المطلوبة؛ فهناك العديد من التفاصيل التي لا تزال تتطلب دراسة أَوْفَى، ولكننا إذا ما أخذنا بعين الاعتبار أن التوراة العبرانية تتكرر ترجمتها منذ ألفَي عام، وهي لا تزال تتضمن، مع ذلك، بعض النقاط الغامضة، نجد أنه لا يحق لنا أن نطلب أكثر من المعقول عندما يتعلق الأمر بترجمة نصوص كتبت بلغة مجهولة، وبتفسير أحداث جديدة كل الجدّة علينا.

ومع ذلك يبقى الإنسان مندهشاً أمام هذا الجمال في معالجة المواضيع، وهذا الغنى في التعبير، أمام القمة الأخلاقية العالية التي تنبعث من هذه النصوص. هذا مع العلم بأنه أصبح لا بد من إعادة النظر في العديد من الآراء الشائعة حول الحضارة الكنعانية (ويسميها البعض "الفينيقية")، سوف تتمّ دراسة عادات ومعتقدات شعوب سوريا وفلسطين، بعد اليوم، من زاوية جديدة وفي ضوء جديد. مهما كان حكم التاريخ بالنسبة إلى الكنعانيين فلا شك أنهم كانوا شعراء كباراً، ولا بد للإنسان أن يتسامح أمام ضعفهم في الفن، عندما يطلع على مدى روعة كتاباتهم.

إن معرفة التوراة الكنعانية تفتح أمامنا طريقاً جديداً لدراسة العالم القديم. إلى أين ستؤدي بنا هذه الطريق؟ هذا ما لا نعلمه بعد!

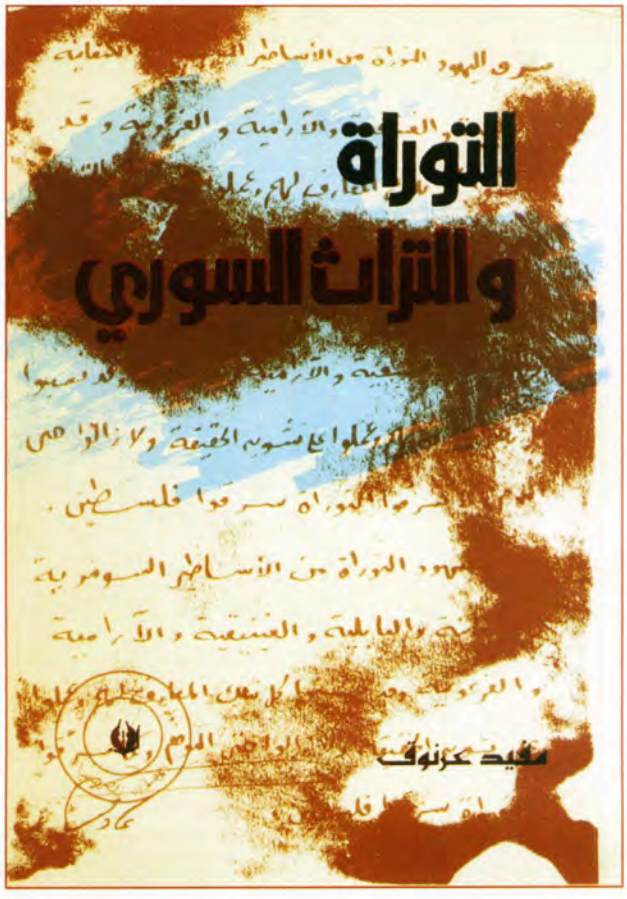

أوغاريت والعهد القديم
تفاعل وتمايز

الأب أيوب شهوان

مقدمة

مثيرة للاهتمام هي غزارةُ النتاج الأدبيّ الذي يعالج موضوع أوغاريت، منذ ما يزيد على الخمسة والسبعين عامًا، من جهة، وذاك المتعلّق بأوغاريت وبروابطها بالأسفار البيبليّة، من جهة ثانية؛ فالآفاق الجديدة التي فتحها اكتشاف موقع رأس شمرا الأثريّ لم يكن علماء العهد القديم والباحثون في نصوصه يحلمون بها من قبل[١].

فبما أنّ هناك تشابهًا قويًّا بين اللغتَين الأوغاريتية والعبريّة، وبما أن النصوص الأوغاريتيّة[٢] هي سابقة للنصوص البيبليّة، فإنّ مفرداتها تُعطي أحيانًا المعنى الدقيق لتعبيرٍ عبريٍّ بقي مُبهَمًا إلى حدّ كبير حتى اكتشاف أوغاريت. تكفي العودة إلى قاموس عبري[٣] للتأكد من التشابه بين أصول الكلمات؛ بالطبع، ينبغي ألاّ يُنسينا الرجوع إلى الأوغاريتية الخدمةَ التي أدتها العبريّة لمعرفة هذه اللغة التي، خاصة بفضل العربية والسريانية أيضًا، استطاع العلماء قراءتها وتفسيرها خلال وقت قصير. هذا ما سنحاول أن نسلّط الضوء عليه، ولو بشكل محدود وسريع.

١ – مقارنات لغوية

من بين الأمثلة العديدة عن التشابه اللغوي بين الأوغاريتيّة والعبريّة، نختار بعضًا من تلك التي تبدو لنا ذات فائدة، خاصة لقراءة العهد القديم.

– تث ٣٣: ٢٩

يقول النص: "يفرّ أعداؤك من أمامك، تسير على مشارفهم" (במתימו؛ "بَامُوتِيمو")[٤]؛ نصادف في أوغاريت مرّات عدّة كلمة במה ("بَمَهْ")[٥] بمعناها الحقيقي، والمعنى الأصليّ هو، على الأرجح، "ظَهْر"؛ الترجمة المُقتَرَحة هي: "تسير على ظهورهم"، وهي

---

(١) أنظر مثلاً:

E. JACOB, *Ras Shamra et l'AT* (Delachaux et Niestlé, Neuchâtel - Paris 1960), en particulier pp. 63-75; S. KAPELRUD ARYID, *The Ras Shamra Discoveries and the Old Testament* (Oxford:Blackwell, 1963); Charles F. PFEIFFER, *Ras Shamra and the Bible* (Grand Rapids: Baker, 1962); John GRAY'S, *The Legacy of Canaan: The Ras Shamra Texts and their Relevance to the Old Testament,* Supplements to Vetus Testamentum 5 (Leiden: Brill, 1965²); Peter C. CRAIGIE, "Ugarit and the Bible," pp. 99-111, in Gordon D. YOUNG, ed., *Ugarit in Retrospect* (Winona Lake: Eisenbrauns, 1981); S. B. PARKER, "Ugaritic Literature and the Bible", *Near Eastern Archaeology* 63/4 (2000) 228-231.

(٢) A. CAQUOT, M. SZNYCER et A. HERDNER, *Textes Ougaritiques* I. *Mythes et légendes* (Littératures Anciennes du Proche-Orient, 7; Paris 1974).

(٣) F. BROWN et alt, *A Hebrew and English Lexicon of the Old Testament* (Oxford, 1979⁴).

(٤) في **الكتاب المقدس**، الترجمة اليسوعية (١٩٧٧⁴): "أعداوك يتملّقونك، وأنت تدوس مشارفهم".

(٥) F. BROWN et alt, *A Hebrew*..., p. 119.

ترجمة تتناسب أكثر مع منطق النص، وتعكس العادة المعروفة في الشرق القديم بوضع الرِجْل على عنق الأعداء المهزومين، كما في يش ١٠: ٢٤: "فلمّا أخرجوهم (أي الملوك الخمسة)، استدعى يشوع جميع رجال بني إسرائيل، وقال لقادة المحاربين الذين ساروا معه: تقدّموا وضعوا أقدامكم على رقاب هؤلاء الملوك"؛ وفي مز ١١٠: ١: "أجعل أعداءَك موطئًا لقدميك".

- ٢ صم ١: ٢١

يرتبط مضمون هذه الآية بمرثاة داود الشهيرة لشاول ويوناتان. مات شاول مهزومًا على يد الفلسطينيين (١ صم ٣١) بسبب عدم الأمانة ليهوه (١ أخ ١٠: ١٣)؛ موته هو إذًا مادّيّ وروحيّ. عبّر داود، الملك العتيد، عن حزنه الشديد وعن حزن إسرائيل بمرثاته الشهيرة. جاء في النص العبري ما يلي: **אל טל ואל מטר ושדי תרומת**، أي: "(يا جبال جلبوع)، لا يكن عليكِ ندى ولا مطر ولا حقول تقادم"[٦]. في نصّ من أوغاريت نقرأ: "لا مطر ولا ندى ولا ينابيع أعماق" (أقهات ١: ١: ٤٥)[٧]. يُعبَّر عن "حقول تقادم" (**שדי תרומת**) و"ينابيع أعماق" (**מעינת תהום**) في العبريّة بدمج أحرف متقاربة جدًا، إلى حدّ أنّه بالإمكان الافتراض أن الناسخ قد نقل خطأً نموذجه المدوّن بأحرف عبريّة، أو أنه عدّله عمدًا بهدف أن يُزيل ذكرَ "تِهُمُوت" (**תהמות**) التي، مع ذكْر الوحش **תיאמת** ("تِيامَات")، كان لها بنظره ارتباطٌ ميتولوجيّ. في كل الأحوال، يعطي النصُّ الأوغاريتيّ معنى منطقيًا أكثر من النص العبري الحالي. إنّ قِدَمَ النص (القرن الحادي عشر ق. م.) بَيِّنٌ في التعابير البيبلية الصعبة.

عندما يغيبُ الإله، إلهُ المتغيرات الجوية، إلهُ المطر، المطر الذي لا غنى عنه لمنطقة ككنعان والذي يُطْلَبُ بالصلاة، يعني أنّ إلهَ النصر على عناصر الكون هو غائب بسبب خللٍ ما أو سلوكٍ غير مقبول. هي تصرفات البشر التي، بحسب الذهنية الشرق أوسطية التي كانت سائدة، تبعد أو تقرّب الآلهة، وتبعد معهم أو تقرّب الامتيازات التي تعود إليهم، ومن بينها إنزال المطر. بالمقابل، هناك الازدهار وفيض الخيرات اللذان يُنسَبانِ إلى حضور الإله؛ هذا ما تفيد به نصوص أوغاريتية، وهذا ما نجد له صدى في العهد القديم، حيث استُبدِل اسمُ الإله الأوغاريتي (أو الكنعاني) باسم يهوه، ونُسِبَت مميزات بعل إلى يهوه[٨].

- ٢ صم ٢٤: ٢٣

بعد أن باع أَرَوْنَا الحثّيّ لداود البيدرَ الذي عليه سيُبنى الهيكل قال: "كلّ هذا وهبه أَرَوْنَا الملكُ إلى الملك" (**הכל נתן ארונה המלך למלך**).

يزول إبهامُ النصّ الماسّوريّ العبري إذا اعتبرنا أنّ كلمة **המלך** ("هَمِّلِخْ")، "الملِك"، هي إضافة لتوضيح الاسم "أَرَوْنَا". فمن نصوص أوغاريت نستنتج بوضوح أنّ هذا الاسم هو حوريّ، ويعني "رئيس".

- أش ٣: ١٨

يذكر أشعيا، في تعداده للزينة التي ترتديها نساءُ أورشليم، الـ **השביסים** ("شِبِسِيمْ")، التي بقي معناها الدقيق صعبَ المنال، إلى اليوم الذي فيه أوحت نصوصُ أوغاريت المتعلقةُ بالإلهة "شَفَسْ"[٩]، التي تُدعى في أماكن أخرى "شَمَشْ"، أي "الشمس"، أنّ المقصود هو مجوهرات لها أشكالُ شموسٍ صغيرة.

- الأداة "بَ لْ" (בל)

نعرف إلى أي حد، في العبريّة،

(٦) في الترجمة اليسوعية (١٩٧٧٢): "ولا حقول خصيبة".

(٧) علي أبو عساف، **نصوص من أوغاريت** (دراسات ونصوص قديمة، رقم ٤٣؛ منشورات وزارة الثقافة السورية، دمشق ١٩٨٨) ١٣٩.

(٨) M. DIETRICH - O. LORETZ J., SANMARTIN, *The Cuneiform Alphabetic Texts from Ugarit* (Münster 1995) 1.19. I:42-49.

(٩) قدسها سكان أوغاريت، وَلَقَبُوهَا "نرة (أي "نور") الآلهة" (رج علي أبو عساف، **المرجع عينه**، ص ٤٥).

تكفي أداةٌ صغيرة أحيانًا لتحديد معنى نصٍّ ما؛ ففي الأوغاريتيّة، كان تعدُّد المعاني أوسعَ أيضًا، كونُ تطوّر لغةٍ ما يسير معًا بمحاذاة التبسيط؛ فالأداة "بَ لْ" **(בל)** التي توازي دائما في العبرية أداةَ نفي، نجدها في أوغاريت، أحيانًا بمعنى التأكيد؛ هكذا في التعبير "ب ل. إ تْ. ب ن. ل ه"، الذي يعني: "بالتأكيد له ابنٌ" (٢ أقهات ١: ٢١). يمكننا أن نتساءل عمّا إذا كان هذا المعنى التأكيديّ لا يسمح بحل لغزِ نصٍّ من المزامير كان أبداً عقبة في وجه الباحثين؛ ففي مستهل مز ١٦، يتوجّه المؤمن إلى الله بهذه الكلمات: **טובתי בל עליך** ("طُوبَتِي بَلْ عَلَيْكَ"؛ آ ٣)، أي "سعادتي ليست فيك"، بينما يريد صاحب المزامير أن يؤكّد العكس؛ لذلك كانت هناك محاولة، عن طريق تصحيحات ماهرة وناجحة، لإعطاء معنى مقبول للنص. فكل شيء يصبح جليًا إذا ما قبلنا أن النَفي كان له معنى التأكيد، ونقرأ عندها: "سعادتي هي بالتأكيد فيك".

– الأداتان أو الحرفان "ب" وَ"ل"

في الأوغاريتيّة، يمكن الأداتان "ب" وَ"ل"، أي "في" وَ"إلى"، أن تَعنيَا أيضًا "خارجًا عن"؛ ويمكننا أن نتساءَل عمّا إذا كان في العهد القديم لا ينبغي أحيانًا فهمُ هاتَين الأداتَين بذات المعنى، كما في مز ٢٩: ١٠، حيث يجلس يهوه **למבּוּל** ("لَمَبُّول")، أي "على الطوفان"؛ نفهم من هذه العبارة أنه "يجلس"، أي أنه ملِك، منذ الطوفان. ولدينا في مز ٦٨: ١٩: "أخذتَ الناسَ عطايا" **(באדם)**، "بَأدَمْ"، حرفيًا "بين الناس")؛ هنا أيضًا تدل الأداة على المصدر: "أخذتَ عطايا للناس" **(לקחת מתנות באדם)**، "لَقَحْتَ مَتَنُوتْ بأَدَمْ").

٢- حلول أوغاريتيّة لمعضلات لغوية عبرية

ما هو أهمّ أيضًا، هو أن اللجوء إلى اللغة الأوغاريتيّة يسمح أحيانًا بإعادة المعنى إلى كلمة فقدته في العبريّة؛ هكذا لكلمة **דרך** ("دِرِخْ")، أي "طريق"، في أوغاريت، معنى آخر، هو "قدرة"، "سيادة"؛ من هنا ربطها بـ**מלך** ("مِلِخْ")، أي "ملِك" (٤٩: ٥؛ ٦: ٦؛ ٣٥: ٥١؛ ٧: ٤٤؛ ٦٨: ١٠). هكذا تصبح عدة مقاطع بيبلية أكثر وضوحًا وفهمًا إذا ما اعتمدنا هذه الترجمة الأخيرة.

ففي أم ٨: ٢٢، مثلاً، تؤكد الحكمة المُشخصَنةُ أنَّ الله قد خلقها كأول طريقه؛ يناسب معنى "القدرة" هنا أكثر.

وفي أم ٣١: ٣، "لا تعطِ قوّتَكَ إلى النساء، ولا طريقَك إلى أولئك الذين يضيعون الملوك". هنا أيضًا، يناسب معنى "قدرة" أكثر، مع بُعْدٍ جنسيّ في الآية التي نحن بصددها.

كذلك في عا ٨: ١٤: "حيّةٌ طريق[١٠] **(דרך)**، "دِرِخْ") بئر سبع"، حيث تنسجم الترجمةُ، "حيّةٌ قدرةُ بئر سبع"، أكثر مع إطار النص، وتسمح بتحاشي اللجوء إلى تخمينات مقترحة لهذه الآية[١١].

أخيراً، الجملة الغامضة في مز ١١٠: ٧: قد تعطي الجملة "يشرب من النهر في الطريق"[١٢] معنى أكثر قبولاً إذا ما فهمنا الجملة، "يشرب من النهر في سيادته"، خاصة وأن هذا المزمور هو قول نبويّ ملكيّ، مملوء

(١٠) تعلّق الترجمة اليسوعية (١٩٧٧٤) على مضمون هذ الكلمة فتقول: "أي الحج إلى مكان العبادة هذا".

(١١) اقترح عدة مترجمين استبدال كلمة **דרך** ("درخ") بكلمة **דדך** ("دُودِخَا")، أي: "حبيبُكَ"، من خلال تصحيح بسيط للنص، كون كلمة **(דד** "دُوْدْ") عندها اسمَ أحدِ الآلهة، ولكن اللجوء إلى الأوغاريتية يسمح لنا بالحفاظ على النص الماسُوري.

(١٢) مما لا شكّ فيه أن الآية ٧ في المزمور ١١٠ تلتبس على القارئ؛ والحاشية المدرجة في الترجمة اليسوعية (١٩٧٧٤)، بالرغم من فائدتها، فإنها لا تحل المعضلة، كون الإشكال لغويًا بامتياز. فقول الترجمة المذكورة بأنّ "المشيح يشرب من وادي المحن" (مز ١٨: ٥ي؛ ٣٢: ٤٦؛ ٦٦: ١٢) أو "من وادي النعم الإلهية" (مز ٣٦: ٩؛ ٤٦: ٥؛ حز ٤٧)، ثم القول في ذات الحاشية إنه كالمحارب الجادّ في إثر أعدائه والذي لا يتوقف إلاّ لحظة للشرب من الوادي (قض ٧: ٥؛ ١٥: ٨؛ ١ صم ٣٠: ٩)، لا يتناسب إلاّ جزئيًا مع مضمون المزمور، لأن جوّ هذا الأخير يوحي أن المحارب قد انتصر وصار بإمكانه التوقف "في الطريق ليشرب من الوادي، ولذلك يرفع رأسه".

من الإيماءات إلى طقوس على علاقة بالسلطان الملكي.

تستفيد كلماتٌ ذاتُ أصولٍ يصعب تفسيرها باللجوء فقط إلى العبريّة، من الإنارة التي تسلّطها عليها النصوصُ الأوغاريتيّة. مثلاً:

نعلم أن الاسم יִשָּׂכָר ("يَسَّكَر"، أو "يَسَّاكَر")، وهو أحد أبناء يعقوب الاثني عشر، يشتق من فعل שָׂכַר ("س خ ر")، أي "أمّن أجْراً"، الأمر الذي يتوافق تمامًا مع التفسير الذي يعطيه تك ٣٠: ١٨ (שְׂכָרִי، "سَخَرِي"، أي "أجري").

كذلك صيغة الفعل הִשְׁתַּחֲוָה ("هِ شْ تَ حَ وَ هْ") في مز ٢٩: ٢، لا تأتي من الجذر שָׁחָה ("شَ حَ هْ")، كما تُعلّم بعض كتبُ القواعد، بل هي صيغة مزيدة للفعل للثلاثي שָׁוָה ("ش و ي") الذي يعني حرفيًّا "انطوى"، من هنا "انحنى" أو "سجد".

٣ – الشعر الأوغاريتي والمزامير

المزمور ٢٩

قد يكون مز ٢٩ واحدًا من أقدم المزامير، نظرًا لِما يحمله من آثار كنعانية. هو نشيدٌ لله ضَمّنَ فيه الكاتبُ كلَّ الحواسّ بمهارة ملفتة؛ فالمزمور لا يُقْرَأُ فقط، بل يُسمَعُ أيضًا، وذلك بفضل وَقْعِهِ الموسيقي، وبفضل المفردات العبرية المنتقاة، مثل קוֹל ("قُولْ"، "صَوت")[١٣] وغيرها. يشعر القارىء أنه يعيش المزمور من خلال صور القوّة التي بها تسعى الطبيعة إلى أن تقاوم الإرادة الإلهية، ولكن دون أن تنجح؛ فلا صحراء قادش الجنوبية، ولا سلسلة جبال لبنان العظيمة، تقوى على فعلِ أيّ شيء. غالبًا ما يوازي "الرعدُ" في المزامير "صوتَ الله"، أي وقت تجلي يهوه من السماء. هنا يظهر التأثير الكنعاني عامة والأوغاريتي خاصة في المزمور، إذ قبل أن يصبحَ كلامًا على مجد يهوه، كان تمجيدًا لبعل، الإله الزراعي الأعظم في كنعان وفي أوغاريت؛ تؤكّد المفرداتُ القديمة التي تكوّن المزمور، حيث كل كلمة وحتى كل صورة تقريبًا لها جذورها في النصوص الأوغاريتية، أسبقيةَ هذه الأخيرة. نحن تقريبًا في القرن الثاني عشر ق. م.، حيث كان وجود إله الخصب ضرورةً حياتيَّة بالنسبة إلى الكنعانيين؛ أما يهوه، إله إسرائيل، الذي كشف ذاته لموسى، ففي الصحراء فعل، وبالتالي لم يكن إلهًا زراعيًّا، بل إله قبائل رُحَّل في فلسطين الجنوبية، على حدود بلاد أدوم. قد يكون من المنطقيّ إذًا الاعتقاد أنه، عندما استقر بنو إسرائيل في المناطق الخصبة من فلسطين، طبّقوا على يهوه الأوصاف التي تتوافق مع الوضع الجديد، وضع الأرض الخصبة، فاستلّوا الرموز والصور التي كانت تعود إلى آلهة أخرى، ليصفوا بها إلههم. هكذا، تمّ استخدام "المزمور" الأوغاريتي المُخَصّص لبعل لتعظيم مجد يهوه في تجلّيه:

- فكما أنّ بعل هو الإله الأعظم في أرض كنعان، كذلك يهوه هو الإله الوحيد بالنسبة إلى بني إسرائيل؛
- يسود الاثنان على الآلهة وعلى الناس؛
- يجلس الاثنان على الغيوم ؛
- يتحكّم الاثنان بالبرق والرعد والمطر؛
- يرعد الأول بصوته[١٤]، ويُسمِع الثاني صوتَه في الرعد؛

بعل هو إله المطر، وبالتالي هو هامٌّ جدًّا للخصب ولحياة الناس، استنادًا إلى نصوص أوغاريت: حيث نقرأ:

"بغزارة أمطاره،
يستطيع بعل أن يُخصِبَ،
بفيض انسياب المياه.

(١٣) قارن مع نص المزمور البيبلي: "صوت الرب على المياه، إله المجد أرعد... صوت الرب بالقوة... صوت الرب يحطّم الأرز... صوت الرب يقدّ شهب نار... صوت الرب يزلزل البرية... صوت الرب يزعزع البطم ويعرّي الغابات..." (مز ٢٩: ٣، ٤، ٥، ٧، ٨، ٩).

(١٤) "يعطي البعل صوته القدوس (= الرعد)، عندما يردد البعل كلامه، صوتَه القدوس، ترتجّ الأرض...، والجبال تُرَوَّع..."، نقلاً عن أنيس فريحة، ملاحم وأساطير من أوغاريت (رأس شمرا) (الجامعة الأميركية في بيروت، ١٩٦٦) ٣٨٤، رقم ٢٧ي. رج أيضًا ناحوم ١: ٣–٥.

صوتُه (קול، "قُول") يُخرِجُ من الغيوم،

بروقًا يرمي نحو الأرض"[١٥].

إن الموازيات العديدة التي يمكن مضاعفتها بسهولة، تسمح لنا أن نتساءل عمّا إذا كان هناك في الأدب البيبلي مجموعاتٌ أدبية أوسع قد تكون إعادةَ نشرِ نماذج أوغاريتيّة أو تطبيقَها. إن المحاولة التي بدت الأكثر حسمًا هي التي أجريت في شأن مز ٢٩[١٦]. منذ سنة ١٩٣٦، أطلق العالِم جِنْسْبِرْغ[١٧] فكرةَ أنَّ هذا المزمور كان تطبيقَ نشيدٍ كنعاني على عبادة يهوه؛ فهو بالذات، ومن بعده العالِم كْرُسّ (F. M. Cross)، أفاد أن تتاليَ أبياتٍ ثلاثيّة أو ثنائية في المزمور كان أمرًا شائعًا في أوغاريت؛ نُدرِجُ في ما يلي مثلاً على ذلك :

أيها الزوج، زوج – صولجانك منخفض – قضيب يدك مرخىً (٢+٢+٢)

العصفور مَشويّ على النار – الجمرات ملتهبة (٢+٢)

تحترق على الجمر – هما ابنتَا إيل – ابنتَا إيل" (٢+٢+٢).

ولكن الموازيات الأوغاريتيّة تظهر أكثر في المفردات؛ لنستعرض أمثلةً على ذلك:

– المزمور ٢٩[١٨]

في مز ٢٩: ٢: "أُسجدوا (أو "إنحنوا") للربّ في بهاء قدسه" (**השתחוו ליהוה בהדרת קדש**)؛ تُترجم الكلمتان الأخيرتان عادة بـ"زينة مقدسة"؛ ولكن، في أوغاريت، لكلمة "ه د ر (ت)" معنى "ظهور" أو "حلم" أيضًا ، لأننا نجدها من جديد مرتبطة بـ"ح ل م"، أي "حلم"، كما في مقطع من شعر كِرِت[١٩]: "نظر كِرِت ورأى أنه كان حلمًا ("ح ل م")، عبد إلْ وها هي رؤية ("ه د ر ت")"[٢٠]؛ يُفتَرَض إذًا أن نترجم: "إنحنوا أمام يهوه عند ظهور قداسته".

إن عبارة **בני אלים** ("بني إلِيم")، أي "أبناء الله"، الواردة في ذات الآية، هي شائعة في أوغاريت، وتتوافق تمامًا مع ديانةٍ كان لها مجمعُ آلهة (panthéon)، بينما الأمر هو على خلاف ذلك في العهد القديم.

تبدو الآية ٧ في مز ٢٩ مبتورة، فالجزء الثاني منها هو غير موجود؛ في النص الحالي، لدينا حرفيًا ما يلي: "يقطع صوتُ يهوه ألسنةَ نار"[٢١]؛ من المرجّح أنّ الجزء المختفي كان يحتوي تعابير ميتولوجيّة واضحة وصريحة، فأُزيلَت لأنه من غير الممكن اعتمادها في عبادة يهوه.

في الآية ٦ من المزمور عينه، يجري الكلام على **שִׂרְיוֹן** ("سِيريُون") الذي، استناداً إلى تث ٣: ٩، كان الاسمَ الفينيقيَّ لحرمون؛ ونصادف الكلماتِ الثلاث، "سِيريُون"، "لبنان"[٢٢]، "وقادش"، أيضًا في نصوص أوغاريت (٥١: ٧: ١٩، ٢١؛ ٥٢:

---

(١٥) M. DIETRICH - et alt., *The Cuneiform...*, 1.4. V:3-5.

(١٦) أنظر مثلاً:

Harold L. GINSBERG, "A Phoenician Hymn in the Psalter", in *XIX Congresso Internazionale degli Orientalisti* (Rome: 1935 472-476); Theodor H. GASTER, " Psalm 29", *Jewish Quaterly Review* 37 (1946-1947); Cross M. FRANK, Jr., "Notes on a Canaanite Psalm in the Old Testament", *Bulletin of the American Schools of Oriental Research* 117 (1950); F. Charles FENSHAM, "Psalm 29 and Ugarit", in *Studies On the Psalms* (Potchefstroom, South Africa: Ou Testamentiese Werkgemeenskap, 1963) 84-99; Peter C. CRAIGIE, "Psalm, XXIX in the Hebrew Poetic Tradition", *Vetus Testamentum* 22 (1972); "Parallel World Pairs in Ugaritic Poetry: A Critical Evaluation of their Relevance for Psalm 29," *Ugarit-Forschungen* 11 (1979).

(١٧) H. L. GINSBERG, " A Phoenician Hymn in the Psalter "; cf. *Actes du 19e Congrès international des Orientalistes,* Rome 1938, p. 472- 476; Peter C. GRAIGIE, *Ugarit and the Old Testament* (Eerdmans, 1985) 68-71 : " Psalm 29 and the Canaanite Hymnbook".

(١٨) Peter C. GRAIGIE, *Ibidem.*

(١٩) ر ج "قصة كرت، في: علي أبو عساف، **ذات المرجع**، ص ٢٤.

(٢٠) أنظر **أسطورة كارت**، اللوحة الأولى، العمود الأول، ٣٥–٣٦، في: أنيس فريحة، **المرجع عينه**، ص ٤٨٤.

(٢١) في الترجمة اليسوعية (١٩٧٧[٤]): "صوت الربّ يقدُّ شهبَ نار".

(٢٢) "أُرسِلَت [الرسل] إلى لبنان وأشجاره، إلى سيريون وأرزه الجميل"، نقلاً عن أنيس فريحة، **المرجع عينه**، ص ٣٧٩، رقم ٢٠–٢١.

٦٥). أخيراً، وقد يكون هذا العنصر الأهم، من المحتمل أن صفات سيّد العاصفة والمطر كانت تخصّ بعل، قبل أن تُطَبَّق على يهوه.

– المزمور ٦٨

يشكل المزمور ٦٨ إحدى الصفحات الأغنى بالألوان التي تصف عظمة الله. يبيّن تركيب الجُمَل كما المصطلحاتُ التي استمدّها الكاتب من قض ٥؛ مز ٢٩؛ ٧٥؛ حب ٣، أننا أمام بناء أدبيّ قديم جدًّا. هذا المزمور المليء بما يذكّر بأوغاريت، يضجّ بصعوبات "كَحْكَحَتْ" علماءَ الكتاب المقدس. فمنذ بضعة سنوات، اقترح أُلْبْرَايْت (M. Albright) أن يحلّها عن طريق اعتبار هذا المزمور ليس نشيداً متتابعًا، بل نوع من الجدول للاستعمال الليتورجي يعطي بداية ثلاثين مزموراً محتلفًا، مصدرها جزئيّاً من نماذج كنعانيّة[٢٣]. ينبغي الإقرار أن التعابير الأوغاريتيّة هي عديدة في مز ٦٨؛ ومن دون أن ننطلق في شرحٍ أوغاريتيٍّ له، نُبرز الموازيات الأكثر تميّزًا:

في آ ٥، يُدعى يهوه **רכב בערבות** ("رُخِبْ بَعَرَبُوتْ")، التي تُترجَم عادة بـ"الراكب على الغمام"[٢٤]. اعتمدت معظم ترجمات العهد القديم الحديثة الصيغة "راكب الغيوم"، بالرغم من اعتراضات R. de Langhe الذي يلفت النظر إلى أن المعنى الأساسي للفعل العبري "ر ك ب" ليس "أن يكون على حصان"، بل "وضع على، استوى، صعد". يوضع بعل، ومن بعده يهوه، على غيمة (رج مز ١٠٤: ٣)، مما قد يوحي أقل بإله العاصفة منه بإله السماء؛ صحيح أن يهوه هو أيضًا "رُخِبْ شَمَايِم" (تث ٣٣: ٢٦)، لكن العاصفة والمطر كانَا الإظهار الفعلي لإله السماءّ، وهذا ما كان يهمّ المؤمنين. تبرهن النصوص الأوغاريتيّة ، وبشكل لا يدع مجالاً للشك، أنه ينبغي أن نقرأ **רכב בערפות** ("رُخِبْ بَعَرَفُوت")، "راكب على الغمام"؛ فهذا اللقب يُعطَى عادة لبعل، الإله الرئيسيّ في الديانة الكنعانيّة، لأنه يجلب المطرَ المُخصِبَ (رج ٥١: ٣: ١١؛ ٥١: ٥: ١٢٢؛ ٦٧: ٢: ٧)[٢٥]. في آ ٣٤ من مز ٦٨، تأخذ السماوات مكان الغيوم: **רכב בשמים** ("رُخِبْ بَشَمَيِم")، أي "الراكب على السماوات"، وهذا ما هو دائمًا في خط الأسطورة الأوغاريتيّة حيث بعل هو إلهٌ سماوي، كون اللقب "بَعَل شَمَايِم" كثيرَ الانتشار في كل البقعة الكنعانية.

تختبىء وراء اسم **כשרות** ("كُوشارُوت")، "الأرض القاحلة"، الذي نجده في آ ٧، كائناتٌ إلهيّةٌ أقلُّ أهميّة من بعل: المقصود ولعدّة مرّات هي "كَتِيرات"، وهنّ الإلاهات الثانويّة التي تقضي رسالتهنّ بأن يشرفن على الولادات وعلى تأمين النجاح لها؛ إنّ معنى النجاح والمهارة هو أيضًا متضمَّن في اسم شخص مذكّر هو "كُوتار–و–حَسِيس"، الإلهُ المتخصص في صنع الأدوات المقدسة؛ في مزمورنا تُرك جانبًا المعنى الميتولوجي، وأصبحت الكلمة اسمًا عاديًا يعني على الأرجح "النجاح".

قد يكون المزمور ٦٨ إذًا نشيدًا ليتورجيًا متجذّرًا في العبادة الأوغاريتيّة، أُدرِج في طقوس هيكل أورشليم.

– المزمور ٨٢

حتى ولو كان يُرَجَّح أن مز ٨٢ هو

(٢٣) M. Albright, *Hebrew Union College Annual 1950-51*, p. 1ss.

(٢٤) أنظر، مثلاً، الترجمة اليسوعية (١٩٧٧٤) ١٢٠٢.

R. de LANGHE, "Bible et littérature ougaritique", dans le volume collectif, *L'AT et l'Orient* (Louvain 1957).

(٢٥) "الخزي لراكب السحب" (٣: ٢٩)، نقلاً عن أنيس فريحة، **المرجع عينه**، ص ٣٥٨؛ "ها إن البعل يكره تقدمتين، لا بل ثلاثًا، يكرهها راكب السحب" (٤: ١٦–١٧)، فريحة، ٣٦٧؛ "إسمع أيها الظافر البعل، وافهم يا راكب السحب" (٤: ٥٩–٦٠، فريحة، ٣٧٧؛ أنظر أيضًا، ص ٤٣٣، رقم ٥٨؛ ص ٤٣٤، رقم ٦.

مزمور متأخّر، إذ قد يرقى إلى القرن السادس ق. م.، بسبب بعض التشابه مع أش ٣: ١٣؛ حز ٢٨: ١–١٠، تكثر فيه الارتباطات بنصوص قديمة تعود إلى ما قبل الملكية في إسرائيل. إنه مزمور لاهوتي بامتياز، لكنّ كاتبه عرف أن يستثمر معارفَ خصومه (قد يكونون الكنعانيون والأوغاريتيون) لصالحه، وهذا ما نتبيّنه من المفردات والصور والأفكار الكنعانية والأوغاريتية.

المزمور هو ذو خلفيّة كنعانيّة أوغاريتية؛ يفترض مسبقًا، كما المزمور ٢٩، ميتولوجيّا متعدّدة الآلهة[٢٦]: يستوي "يهوه في وسط الآلهة" (مز ٨٢: ١). يوفّر موضوع الحكم بالموت على كائنات إلهيّة أخلّت بواجبها بممارسة العدالة، موازياتٍ هامّةً مع نهاية شعر كِرِت:

"بعدما بدأت جماعة الآلهة ("عِدَتْ إِلِيم")[٢٧]،

أخذ الكلامَ بعلُ العظيم:

تحرّكْ، أيها المحسنُ إيل، صانعُ الخير،

وبارك كِرِت النبيل"[٢٨].

– تك ٤٩: ٢٢–٢٦: بركة يوسف

"لكنّ قوسه ثابت إلى الأبد،

وساعداه ويداه تتحرّك بمهارة،

بيدَي قدير (**אביר**[٢٩]، "أبِير") يعقوب،

بفضل اسم الراعي وصخرةِ إسرائيل" (تك ٤٩: ٢٤).

يتميّز القسم الآبائي في سفر التكوين، أي حلقة إبراهيم (تك ١١–٢٥)، وحلقة يعقوب (٢٥–٣٧)، وحلقة يوسف (٣٨–٥٠)، بوجود أُطُر تعكس حياة القبائل الأولى كَرُحَّل، ومصطلحات قديمة، وصور قوية عن الصدامات المسلّحة للسيطرة على قطعة أرض؛ كل هذا أُدخِل في تك ٤٩، الذي يعطى عنوانًا: "بركات يعقوب"، ومنها البركة ليوسف.

إنّ "البركات" التي تتقارب غنائيّتها مع غنائيّة المزامير، توفّر أيضًا مشابهات مع النصوص الأوغاريتيّة؛ هكذا نجد مفردات بركة يعقوب في تك ٤٩ في لغة أوغاريت؛ وفي المقطع المخصّص ليوسف (تك ٤٩: ٢٢–٢٦)، يمتدّ التشابه إلى الأفكار المُعَبَّر عنها بكلام تصعب ترجمته عادة. ففي تك ٤٩: ٢٤ يجري الكلام على **אביר יעקב**، والتي تُترجَم عادةً كما يلي: "بقدرة الجبّار إله يعقوب"[٣٠] (تك ٤٩: ٢٤)، أو "من يدي عزيز يعقوب"[٣١]؛ تعني الكلمة العبرية **אביר** ("أبير") "قويّ"، وتُطَبَّق على الله، فيُدعَى "القويّ"، كما في تك ٤٩: ٢٤؛ مز ١٣٢: ٢ و٥؛ أش ٤٩: ٢٦؛ ٦٠: ١٦؛ وتعني أيضًا "القدير"، فيُقال عن ملك أشور في أش ١٠: ١٣ إنه "قدير" كما "الثور"[٣٢]؛ فنحن نعلم الدور الذي يلعبه هذا الحيوان كشعار إلهي[٣٣]؛ بالإمكان أن يكون يوسف

---

(٢٦) Jesus-Luis CUNCHILLOS, "Les dieux (à Ougarit)", *Le Monde de la Bible* 48 (1987) 38-39.

(٢٧) CAQUOT et de TARRAGON, *Textes Ougaritiques*, t. II. , p. 225.

(٢٨) M. DIETRICH et alt, *The Cuneiform...*, 1.15. II:11-15.

(٢٩) بالنسبة إلى كلمة "أَبير"، هناك عددٌ من المقاطع البيبلية (أش ٣٤: ٧؛ إر ٥٠: ١١؛ مز ٢٢: ١٣؛ ٥٠: ١٣) ترد فيها الكلمة في إطار العالم الحيواني؛ فـ"القويّ" في هذه الحالات هو "الثور"، حتى ولو كان أش ٣٤: ٧ يميل إلى التمييز بين "ثيران" و"ثيران وحشية". في كل حال، في الكتاب المقدس بالذات، سعى لاهوتيو التيار اليهوهي إلى إبعاد فكرة "الثور" الكنعانية قدر الإمكان؛ هكذا، حيث كان ينبغي أن تشير كلمة "أَبير" إلى يهوه، كانت تُستَبدَل بـ"أَبير".
Cf. A. CAQUOT et J.-M. de TARRAGON, *Textes Ougaritiques*, t. II, p. 210, n. 203.

(٣٠) **الكتاب المقدس أي كتب العهد القديم والعهد الجديد. الترجمة العربية المشتركة من اللغات الأصلية** (دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط، بيروت، ١٩٩٥).

(٣١) الترجمة اليسوعية (١٩٧٧[٤]).

(٣٢) أنظر الكلمتَين **אביר/אביר**: F. BROWN et alt, *A Hebrew...*, p. 7

(٣٣) أنظر، مثلاً، "الثور إيل" في **دورة بعل**، ٥١: ٤: ١؛ رج علي أبو عساف، ذات المرجع، ص ٨٢.

أيضًا قد ورث بعض الخطوط التي كانت أصلاً خاصةَ إلهٍ ما. في تك:٤٩ ٢٥ أخذتْ الحلُمتان والثديان مكان إلهتَين، على الأرجح عَتِيرات ورَحْمِي، اللتين تظهران في بعض الرسوم الجسدية في أوغاريت. لا يبدو لنا مستبعداً أن هذه البركة على يوسف قد صُبَّت في قالبٍ تمّت استعارتُه من أوغاريت وكنعان، لأنها توحي بجوٍّ ديانةِ خصبٍ مختلفة عن العهد القديم[٣٤].

٤- النصوص الأوغاريتية والأدب البيبلي الحكمي

بعد الشعر البيبلي، هو **الأدب الحكمي** مَن يقدّم التشابهات الأكثر مع أدب أوغاريت. يحق لنا بعد الآن أن نتساءل عمّا إذا كان الأدب الحكميّ الذي، ولمرّات عديدة، تمّ إبراز الموازيات بينه وبين مثيله المصري، لم يتلقَّ هذا التأثيرَ بواسطة الكنعانيين الذين، بالإضافة إلى دورهم كوسطاء الحكمة المصريّة، كان لهم تقليدٌ حكميٌّ خاصٌّ بهم[٣٥]. في ما يلي بعض النماذج عن **الحكمة الأوغاريتية** وما يوازيها في الكتاب المقدس:

- "كقلب بقرة [تحنّ] إلى عجلتها،
  كما شاة إلى حَمَلِها،
  هكذا قلب عناة[٣٦] نحو بعل" (بعل وعناة، ٤٩: ٢: ٢٨-٣٠)[٣٧].
- "كالعصفور الذي يتيه بعيدًا عن عشّه،
  هكذا الإنسان الذي يتيه بعيدًا عن مكان ولادته" (أم ٢٧: ٨).

نجد **المثلَ العدديّ** الذي يستعمل مبدأ التدرّج في أوغاريت كما في العهد القديم:

- "سبع سنوات سيحتجب بعل،
  ثمانية راكبُ الغيوم" (١ أقهات ٤٢-٤٤)[٣٨].
- " ثلاثة تتخطّاني،
  ورابع لا أعرفه" (أم ٣٠: ١٨).

إلى جانب هذه المتشابهات الأدبيّة، نجد ذات المفردات:

- "ثمرتي هي أفضل من الذهب،
  'منتوجاتي أفضل من الفضة" (أم ٨: ١٩).
- "بنيت بيتي بالفضة،
  وقصري بالذهب" (٥١: ٦: ٣٦).
- "كُلْ عن الموائد الخبزَ،
  إشربْ من الجرار الخمرَ" (٥١: ٤: ٣٥)".
- "تعالوا كلوا من خبزي،
  إشربوا الخمر الذي أعدَدتُهُ" (أم ٩: ٥).

هو ذو مدلول أنه، في هذه الموازاة الأوغاريتيّة الأخيرة، هي الإلهة عَتِيرات مَن يدعوها إيل لتأكل وتشرب، بينما في النص البيبلي تأتي هذه الدعوة من الحكمة المشخصنة. يمكننا أن نستنتج من ذلك، أن الحكمة (في سفر الأمثال) تأخذ مكان إيل أو مكان إلهٍ ما آخَر، كما كان يُقال قبل نشر نصوص أوغاريت.

سفر الجامعة

خلال هذه السنوات الأخيرة، كان هناك اهتمام بدراسة التأثيرات الكنعانيّة والساميّة الشماليّة على **سفر الجامعة**، وتمّ الوصول إلى نتائج تطرح من جديد معضلة التاريخ الذي يمكن أن نعطيه لهذا السفر[٣٩].

---

(٣٤) بالنسبة إلى الموازاة الأوغاريتيّة مع تك ٤٩، رج :

J. COPPENS, " La bénédiction de Jacob ", dans *Congress Volume Strasbourg*, Suppl. V. T. 1965; B. VAWTER, " Canaanite Backgroud of Genesis 49 ", *Catholic Biblical Quarterly*, 1955, p. 1-18.

(٣٥) C. J. K. STORY, "The Book of Proverbs and North West Semitic Litterature", *JBL* 1945, p. 319-338.

(٣٦) إقرأ حول "عناة" في: علي أبو عساف، **المرجع عينه**، ص ٣٣ و١٦٥ أي النص ١٢٧، رقم ٢٩٠ي.

(٣٧) ترجمة أنيس فريحة، **المرجع عينه**، ص ٤١٣.

(٣٨) نقرأ في ترجمة أنيس فريحة: "سبع سنوات حَبَسَ البعلُ، لا بل ثماني سنوات [حبس] راكبُ السُّحُب ظَلَّه" (**المرجع عينه**، ص ٥٥٥).

(٣٩) M. DAHOOD, *Canaanite and Phoenician Influence in Qoheleth*, 1952; cf. CAQUOT et de TARRAGON, *Textes Ougaritiques*, t. II., p. 299.

٥ – أوغاريت وكتب الأنبياء

إنّ الموازيات الأوغاريتيّة هي أقل أهميّة في كتب **الأنبياء**، وهذا ما يُفَسَّر بسهولة، لأنه، حتى الآن، لم يتم العثور على النوع الأدبي النبوي في أوغاريت. مع هذا يجب أن نشير إلى نص من **سفر أشعيا** استوحى بطريقة مباشرة جدًا من نص أوغاريتيّ: يتوجه الإله مُوت[٤٠] إلى بعَل منافسه بهذه الكلمات: "تسحق ل ت ن، الحيّة الهروب، تقضي على الحيّة الملتوية القديرة ذات الرؤوس السبعة" (٦٧: ١: ١-٣)[٤١].

يستعيد أشعيا هذا النصّ كما يلي: "في ذاك اليوم، يعاقب يهوه بسيفه القاسي والعظيم والقوي لِوْيَاتَان، الحيّة الهروب، لِوْيَاتَان الحيّة الملتوية، ويقتل التنين ("ت ن ي ن") الذي في البحر" (أش ٢٧: ١). إذا كان الأدب النبوي لا يوجد في أوغاريت، فإننا نجد فيه على الأقل، كما في كل آداب الشرق القديم، عددًا كبيرًا من الأقوال النبويّة؛ إن النوع الأدبي الذي ندعوه "نبوءةَ بشرى"، التي تقوم على التبشير بمولد ابن، يستحق أن يُبرَز بسبب التشابه مع بعض الصيغ البيبليّة.

١) **دانيل**: بعد مولد ابنٍ طالَ اشتهاؤه، يقول دانيل: "أريد أن أجلس وأرتاح، ونفسي (نِ فِ ش) سترتاح في صدري، لأنّ ابنًا وُلد لي" (أقهات ٢، ٢، ١٢).

٢) في شعر نِكال[٤٢] وكَتِيرات، نقرأ بشأن الإلهة نِكال ما يلي: "ها إنّ المرأة الشابة تلد ابنًا"؛ الكلمة المستعملة للكلام على المرأة الشابة هي "عَلْمَة"، كما في أش ٧: ١٤[٤٣]. نشير إلى أن اللفظ العبري "ع ل م ه" يلتقي مع الأوغاريتي "غ ل م"[٤٤]، التي توازي عمر المراهقة.

٣) يبرّر الملك كِرِت بعثتَه بأنها لخطف ابنة الملك بوحيٍ تلقّاه في الحلم من الإله إيل يبشّره بمولد وريث (كِرِت ٣، ١: ٤٥).

٤) في الأشعار المتعلقة بحلقة بعل، يلد بعل من اتحاده بعِجلَة ولدًا صغيرًا، ومرة ثانية، من جُماعه مع الإلهة عناة، تلد له هذه الأخيرة ثورًا؛ يوصف هذا الحدثُ بأنه "بشرى سارة" (ب س رت) (٦٧: ٥: ١٨؛ ٧٦: ٣: ٣٤).

تمّ الاستشهاد بهذه النصوص لدعم تفسير نبوءة أشعيا الغامضة حول مولد عمّانوئيل (أش ٧: ١٤)[٤٥]. قد يكون هذا الأخير إمّا ابنَ الملك، وإمّا شخصًا إلهيًّا، كان الملك يلعب دورَه في الدراما الطقسية السنوية.

ماذا نستنتج؟

أ) من الثابت أن إسرائيل قد استلّ من كنعان بعض الصيَغ الأدبية والصور والمصطلحات، واعتمد أيضًا شيئًا من الإيديولوجيّة المتضمّنة فيها، علمًا أنّ لدى إسرائيل في تقليده الخاص الكثيرَ من المعطيات للتعبير عن الوقائع العميقة لإيمانه.

---

(٤٠) Olivier CALLOT, " Le dieu Mut, guerrier de El ", *Syria* 62 (1985) 205-218.

(٤١) أنظر النص كاملاً في: أنيس فريحة، **المرجع عينه**، ص ٣٩٢–٣٩٤؛ رج ص ٤٣٣، رقم ١٦–٦٢.

(٤٢) رج علي أبو عساف، **المرجع عينه**، ص ١١٧–١١٩.

(٤٣) بولس الفغالي، "أش ٧: ١٠–١٦، عمانوئيل ابن العذراء"، **مجلة بيبليا** ٢٦ (٢٠٠٥) ٣٩–٤٦؛
C. H. GORDON, *Ugaritic Manuel* (Rome, 1955) 153; Id, " Almah in Isaiah 7, 14 ", *Journal of Bible and Religion* 21 (1953) 240-241; B. VAWTER, " The Ugaritic Use of Galmat ", *CBQ* 14 (1952) 319-322.

(٤٤) *KTU* 1,119, in CAQUOT et de TARRAGON, *Textes Ougaritiques*, t. II., p. 207, n. 191.

(٤٥) أبرز أهميّة المادة الأوغاريتيّة لتفسير نص نبوءة عمانوئيل الصعبة، الباحث HAMMERSHAIMB في مقاله:
" The Immanuel Sign ", *Studia Theologica* (Lund), vol. III, fasc. 2, 1951, p. 124-142.
في ردّ على هذه الدراسة، عبّر J. J. Stamm عن تحفظات جديّة حول استعمال نصوص أوغاريتيّة في موضوعه:
"Die Immanuel-Weissagung", *VT* (1954) 20-33.

لذلك هناك تحفّظ حيال الاقتراح الذي يرى، مثلاً، في رواية الخلق في تك ١ التطبيقَ الإسرائيليَّ لمؤلَّفٍ كنعانيٍّ تمّ استخراج خلاصات منه حول قِدَم الوثيقة البيبليّة المدعوة "الكهنوتيّة"[٤٦].

ب) في كل المقاطع التي تفترض وجود ارتباط بين إسرائيل وأوغاريت، الأسبقيّة هي دائمًا لأوغاريت، إذ لدينا دلالات هي نسبيًّا أكيدة لتأريخها على أنها من النصف الأوّل من القرن الرابع عشر، العصر الذي فيه لم يكن العهد القديم قد وجد. يجب إذًا أن نتساءل عمّا إذا كان اتصالٌ ما بين الاثنين قد قام، وإذا كان قد حصل، فأين ومتى؟ استنادًا إلى جْرَاي (J. Gray)[٤٧]، قد يكون العبريون، لدى خروجهم من مصر، عند محطّتهم عند بعل صافون[٤٨] (خر ١٤: ٩؛ عد ٣٣: ٧)، دخلوا في علاقة، شفهيًّا، مع الأساطير الكنعانيّة[٤٩]، التي، كما يدلّ على ذلك الاسم "بعل صافون"، كان قد توطّن في مصر؛ ولكن في الظروف الخاصة حيث كان يوجد الإسرائيليون، كان على الميتولوجيا والأدب أن يكونا آخرَ همومهم. كل شيء يدعو إلى القبول بأن اتصال الإسرائيليين بالتقاليد الكنعانيّة والأوغاريتية لم يتمّ إلاّ بعد الاستيطان في كنعان، وفي وقتٍ كان فيه التواجد السِلْميّ مناسبًا للتبادل الثقافي؛ نعتقد أنّ مُلْكَي سليمان وآحاب، اللذَين تميّزَا بارتباط وثيقٍ بفينيقيا، كانَا المناسبة لدخول مواضيع غريبة في الأدب والدين.

ج) وبما أنّ الموازايات الأوغاريتيّة تتعلّق بشكل رئيسيّ بالمزامير، وأن مسألة تأريخ المزامير تبقى صعبة جدًا، لا يمكننا إطلاقًا الذهاب أبعد من التأريخ التقريبيّ. في كل الأحوال، يجب القول بوضوح إن حضور عناصر أوغاريتيّة في نصّ بيبليّ لا يكفي كبرهان على أنه قديم؛ نستنتج مثلاً أنّ موضوع لوياتان[٥٠]، المشترك بين أوغاريت والعهد القديم، لا يظهر في الكتاب المقدس إلاّ في نصوص يتّفق الناقدون بشبه إجماع على اعتبارها أنها حُرِّرَت بعد المنفى (أش ٢٧: ١؛ أي ٣: ٩؛ ٤٠: ٢٥؛ مز ٧٤: ١٤؛ ١٠٤: ٢٦)، بمعنى أنه كان هناك تساؤل حول ما إذا كان دخول مواضيع كنعانيّة في الأدب الإسرائيلي لا ينبغي أن يوضع في مرحلة هي نسبيًّا متأخرة. يبرهن كتاب حزقيال مرّتَين عل الأقل أن المواضيع الأوغاريتيّة وتقاليد فينيقيّة أخرى كانت معروفة لديه (ر ج ذِكْر دانيل في حز ١٤: ١٤؛ ٢٨: ٣). استناداً إلى أولبرايت[٥١]، يشكّل هذا الميل إلى ما هو قديم جزءًا من حركة أوسع لا تظهر فقط في إسرائيل، بل هي مشتركة لكل الشرق القديم.

(٤٦) يعتمد Dussaud على مقطع تث ٣٢: ٨–٩ ليقول بأن الجمع "إلوهيم" في تك ١: ٢٦ هو تلميح إلى "بني إيل"، وبالتالي إلى مجمع الآلهة الكنعانيّة (DUSSAUD, "Yahve fils de El", *Syria*, 1957, p. 1ss).

(٤٧) J. GRAY, *The Legacy of Canaan*, p. 150.

(٤٨) CAQUOT et de TARRAGON, *Textes Ougaritiques*, t. II. , p. 137, 157, 166, 189-191, 199, 216, 218, 225-227, 234.

(٤٩) تقول الحكاية إنّ "جبل صَفُون" هو مسكن بعل...، وفي هذا المكان دفنته عناة (ر ج **دورة بعل**، ٦٢: ١٥–١٧: "نقلته إلى قمم صفون، فبكته، وقبرته، وسجّته في لحد"). أصبح هذا الجبل مقدّسًا عند الأوغاريتيين والفينيقيين، وارتبط اسمه باسم بعل...، عرفته شعوب المنطقة باسم بعل صفون" (ر ج علي أبو عساف، **المرجع عينه**، ص ٢٨)؛ أنظر أيضًا أنيس فريحة، **المرجع عينه**، ص ١٩/٣٧٠؛ ٢٣/٣٧٥؛ ٦/٣٨٢؛ ١١/٣٩٣؛ ٢٢/٤٢٦؛ ١٦/٤٠٧؛ ٥٧/٤١٠؛ ١/٤٣٣؛ "جبل إيل صافون"، ص ١٩/٤٣٥.

(٥٠) أنظر أنيس فريحة، **المرجع عينه**، ص ٣٩٢، رقم١–٣؛ ص ٣٩٤، رقم ٢٨ي.

(٥١) ALBRIGHT, *De l'âge de la pierre à la chrétienté*, chapitre 5 intitulé: "Du charisme à la catharsis".

د) هناك، بدون أي شك، جزء واسع من الحقيقة في هذه النظرات. يمكننا أن نفترض أن نصوص أوغاريت الدينيّة كانت منتشرة في فينيقيا وحتى في شمال فلسطين، لأنّ شهادة من الكتابة الأوغاريتيّة قد وُجِدَت في هذه المنطقة، وأنّ المعابد، التي كانت في ذات الوقت مدارسَ ومكتبات، كانت الأماكن المؤاتية للقاء الأساطير الفينيقية مع المواضيع الإسرائيليّة. لقد شكّل معبد دان في أقصى شمال مملكة إسرائيل، إطارًا لتكوين نزعة دينية توفيقية بدت لاحقًا خطِرةً جدًا، إضافة إلى أنّ ارتباط إسرائيل الأدبيّ بأوغاريت قابله استقلال عقائديّ كبير.

هـ) أوغاريت هي أدب دينيّ قبل كل شيء، يستحق أن يوضع في موازاة الأدب الإسرائيلي المتضمّن في العهد القديم. لكن، في حين أننا نرى في البيبليا "عمل" يهوه، نشهد في أوغاريت "عمل" آلهة أخرى شبيهة جداً بتلك التي كان يعبدها سكان أوغاريت وكنعان الذين أخذ مكانهم بنو إسرائيل على أرض كنعان.

و) في الإجمال، نقول إن ارتباط اسرائيل الأدبي بأوغاريت، قابله استقلال عقائدي كبير. بالرغم من وجود ما يُسَمَّى "البيبليا الكنعانيّة"[٥٢]، التي تُطلَق على نصوص رأس شمرا. إذا ما فهمنا التعبير في المعنى الأصليّ لمجموعة كتب، فإن له تبريرًا، لأن البيبليا العبريّة والنصوص الأوغاريتيّة، تشكل في الشرق الأدنى القديم المجموعتَين الأدبيّتَين الأكبر، ولكن مضمون "البيبلِيَين" يعكس فرقًا كبيرًا بين الاثنين.

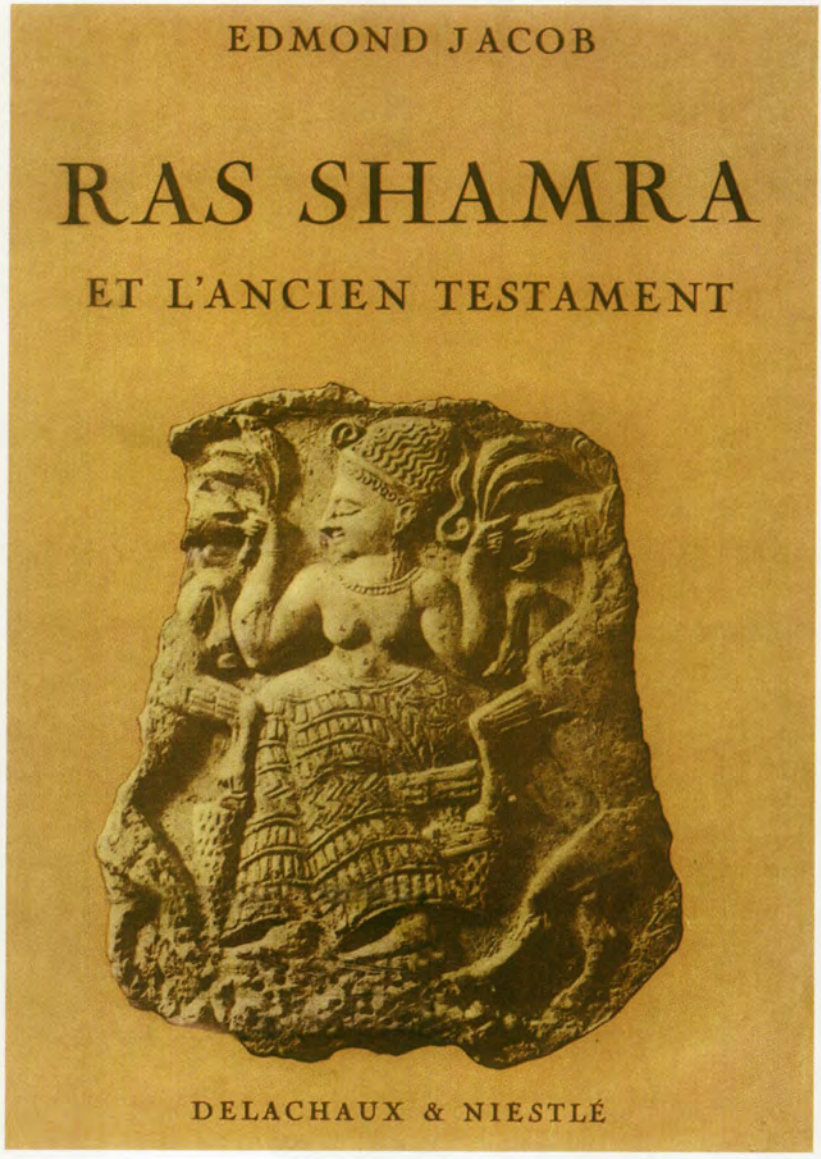

(٥٢) H. E. DEL MEDICO, *La Bible Cananéenne*, Payot, Paris 1950.

آلهة أوغاريت ويهوه التوراة: ألقاب وصفات مشتركة

الأب غابي أبو سمرا

من يقرأ ملاحم وأساطير أوغاريت ويركز على ألقاب وصفات آلهتها يُدهش لقربها من تلك التي لـ"يهوه" في التوراة وخاصة في سفر المزامير. في هذا المقال سنحاول تبيان هذه الصفات عند الآلهة الرئيسة في أوغاريت: إيل، بعل، يم، وغيرهم، وربطها بما يقابلها عند يهوه في الكتاب المقدس.

١- إيل

هو أبو الآلهة، يجلس على عرش ويرئس المجمع المقدس. تظهره النصوص شيخاً طاعناً في السن وقد خطّ الشيب رأسه ولحيته. كان له من الأولاد الآلهة سبعون، وكان يظهر ميلاً إلى التخلي عن سلطاته لأولاده وخاصة للبعل الشاب الوسيم والشجاع، أمام مجلس الآلهة. يُطلق عليه لقب م ل ك اب ش ن م، "الملك أبو السنين". إن صورة ودور إيل الشيخ، "أبي السنين"، والبعل الشاب، لشبيهة جداً بصورة ودور "قديم الأيام الجالس على العرش، والمتسربل بالبياض، وشعر رأسه كالصوف النقي"، من جهة، ومن جهة أخرى، "ابن الإنسان الشاب الراكب على غمام السماء، الآتي أمام قديم الأيام ليقبل منه السلطان والمجد والملك أمام أهل القضاء" في نبوءة دانيال (٧: ٩-١٤). إنها بالفعل رتبة تكريس واعتراف بإله شاب شجاع ونشيط مكان إله قديم تعب من الأيام والسنين، رتبة نجد صداها في آية مزمورية: "قال الرب لسيّدي: إجلس عن يميني حتى أجعل أعداءك موطئاً لقدميك" (مز ١١٠: ١).

ويعرف إيل بألقاب مختلفة قريبة من تلك التي ليهوه خاصة في كتاب المزامير. فهو إل د ف أ د، "إيل ذو الفؤاد"، إله له قلب، أي حنون رحوم ومحب الناس. هو أيضاً ل ط ف أ ن "لطفان"، أي لطيف وأنيس وناعم ورحمان، وتدعوه النصوص حرفياً "إيل اللطيف، إله الرحمة". وهذه صفات جميلة وسامية تدل على سمو في الفكر الديني الأوغاريتي. وما زال اللبنانيون يستعملون هذه الصفات والألقاب كأسماء علم ويفاخرون بها: فؤاد، لطيف، وأنيس، شفيق...

يُعرف أيضاً باسم ب ن ي ب ن و ت، "خالق الخلائق"، وفعل "بنى" في الأوغاريتية يعني "خَلَق"، تماماً كما في العبرية. كان عمله الأول خلق الآلهة، وكان الحكَم بينها والموزّع الوظائف والأعمال عليها. كذلك يبدو يهوه في التوراة: الخالق من العدم، والموزّع لكل كائن دور خاص وخدمة خاصة.

٢- البعل

هو، في ملاحم أوغاريت، إله العاصفة وكل ما يتبعها من برق ورعد ومطر وثلج، والتي تحمل الخصب للأرض والحياة للناس، وهو بالتالي إله الخصب بامتياز؛ أليس هو أيضاً إبن داجون إله الزراعة في ملاحم أوغاريت والذي أعطى اسمه للقمح ؟ يحمل بيد عصا ترمز الى الخضرة، وبيد صاعقة ترمز الى أنه رب البرق والرعد، وبالتالي المطر. صوت البعل هو

الرعد، ورسوله الى الأرض هو البرق: "سبعة بروق صوته، ثمانية أعاصير رعده، عصا برق يمينه"؛ هذه الصفات عينها تُعطى ليهوه التوراة وتُردد في غالبية المزامير: البرق والرعد صوت يهوه وضياؤه ورمز قوته. من ألقابه ايضاً: ر ك ب ع رف ت، أي "راكب الغيوم". هذا اللقب نجده حرفياً في المزامير (مز ٦٧، ١٧؛ ١٠٤: ٣): "المسقّف علاليّه بالمياه، الجاعل الغيوم مركبته، السائر على أجنحة الريح"...؛ والتثنية ٣٣: ٢٦: "راكب السموات والغيوم في عظمته". وهذا اللقب يأتي، في المزامير، في سياق نشيد يرفعه الإنسان الى الرب الذي يكثر خيراته وإحساناته عليه، ويهطل المطر على الأرض والجبال لتنبت كلأً وثمراً للحيوان والإنسان والطيور...

للبعل عدة ألقاب، أهمها "عليون" أي "العالي"، و"زبل بعل ارص"، أي "الأمير مالك الأرض". معنى إسمه: السيّد، المالك، الرب، الزوج... هو بالفعل رب السماء والأرض والبشر في معتقدات الشعوب الكنعانية كما يظهر وبشكل خاص في أوغاريت. في المقابل، يهوه، إله بني إسرائيل في كتب العهد القديم، والذي يحمل أيضاً هذه الألقاب، لا يريد غيره أن يملك على إسرائيل[1]. انتقلت عبادة البعل تدريجياً من أوغاريت إلى فينيقيا حتى الكرمل في فلسطين حيث زاحمت عبادة يهوه وديانة اليهود (١ ملوك ١٨-١٩). فما كان من اليهود إلاّ أن هاجموا ديانة الكنعانيين والفينيقيين وحرّفوا اللقب "زبل بعل"، "بعل زبول"، أي "بعل الشرف والرفعة والسمو"، إلى "بعل زبوب"، أي "بعل الذباب"، وذلك استهزاءً واحتقاراً، وأطلقوه على رئيس الشياطين (٢ ملوك، ١: ٢؛ متى ١٢: ٢٤). إن كلمة "بعل" مترجمة أحياناً في السبعينية بكلمة "aiskhuné"، "عيب، إحتقار" (١ ملوك ١٨: ٢٥، ١٩) للدلالة على رفضه واحتقاره وبالتالي على الإبتعاد عنه.

إن مسكن البعل هو أعالي الجبال، لا سيما جبل صافون الذي يُعرف حالياً بالجبل الأقرع المطل على رأس شمرا ومينة البيضا حيث وجدت غالبية نصوص أوغاريت: "بعل ثابت مثل الجبل، بعل ساكن جبله، إله صافون ساكن بنعيم جبل الإنتصار". وكذلك مسكن يهوه هو جبل صهيون. كل أحداث وأناشيد ملاحم البعل تدور على جبل صافون، وكل أحداث ومزامير يهوه وبني إسرائيل تتجه إلى جبل صهيون. فلكل من صافون وصهيون قصة شوق ديني طبعت ملاحم هذا وتاريخ ذاك: "أيتها الجبال الشامخات لماذا تحسدين الجبل الذي ابتغاه الله لسكناه؟ فالرب يسكنه على الدوام" (مز ٦٧: ١٧).

البعل هو إله النظام ويكره الفوضى، يعمل للحياة ويكره الموت. وخصومه هم عديدون، وأخطرهم "يم" البحر، إله الفوضى والمياه العاتية، ويُرمز إليه في نصوص أوغاريت بلفظتي "تنين" أو "لويتان، الحية الملتوية ذات الرؤوس السبعة". هناك أيضاً "موت" إله الموت والفساد والجفاف. فالبعل ينتصر على آلهة الشر ويفرض النظام ويعطي الحياة وينظم المطر والفصول... كذلك يهوه التوراة هو خالق الكون وساهر على سيرانه: "جعل له رسماً فلا يتعدّاه" (مز ١٤٨: ٦)، والمعيد إليه نظامه بعد الطوفان، "والجاعل للبحر تخماً لا يتعداه". يهوه "يشقق البحر بقوته، يكسر رؤوس التنانين على المياه، ويرضض رؤوس لويتان ويرميه طعاماً للوحوش" (مز ٧٤: ١٣-١٤)، "الرب يعاقب بسيفه لويتان الحية الهاربة، لويتان الحية الملتوية، ويقتل التنين الذي في البحر" (اشعيا

(١) É. Puech, *La croyance des Esséniens en la vie future: immortalité, résurrection, vie éternelle ?*, vol. I, Paris, 1993, p. 6.

١:٢٧). كان صراع البعل ضد "يم" و"موت" صراعاً كونياً غايته ترسيخ النظام وتنظيم الفصول في الطبيعة. وبعد انتصاره يُتوّج ملكاً مطلقاً؛ وفكرة الملوكية هذه أُخذ بها العبران واعتبروا يهوه ملكاً والهاً، كما يشهد ويردد كتاب المزامير: "الربُ مَلَكَ، ملكي وإلهي..."

بموت بعل تذبل وتمحل الأرض، وبانبعاثه وخروجه من من جوف الأرض منتصراً على الإله موت، إله الفوضى والموت، تعود الحياة والخصوبة إليها. كذلك حين يغضب يهوه على الشعب ويحجب وجهه، يخسر شعبه الحروب والأراضي والمدن... وحين يرضى عنه ويشرق بوجهه عليه، يبدد أعداءه، ويعود يحييه، ويغدق عليه الخيرات والبركات، ويحوّل القفر إلى غدران...

إن رسالة البعل هي رسالة بيبلية - إنجيلية قديمة، كما تشهد النصوص: بعد أن خاضت الإلهة "عنات"، أخت البعل، معركة ضارية، وخضّبت بالدم الأعداء، وتكدّست حولها رؤوس القتلى، وغاصت رجلاها في دم الجنود، دعاها البعل إلى السلام قائلاً (حرفياً): "أقيمي في الأرض الونام، أبذري في الأرض المحبة، أسكبي السلام في كبد الأرض، أكثري من الحب في قلب الحقول". هذا حقاً نشيدٌ رائع للسلام والحبّ يطل علينا من الألف الثاني قبل المسيح.

٣- يـــم

لقبه المميّز هو ش ف ط ن هـ ر، أي "قاضي النهر". كان القدماء يتخيّلون نهراً يحيط بأقاصي المعمور، وعند هذا النهر ينتهي العالم العلوي ليبدأ العالم السفلي، وعنده تؤدي كل نفس حساباً قبل قبل دخول عالم الأموات. وبما ان سيّد العالم السفلي هو "يم"، فكان على كل إنسان أن يقدّم حساباً له، فهو قاضي الاموات عند النهر. صفة القاضي هذه هي صفة غالية على قلب الأنبياء وصاحب المزامير، فيهوه هو "قاضي اليتيم والأرملة"، "حاكم وقاضي"، "قاضي الأرض كلها"...

لا شكّ أن هناك المزيد من الصور الأدبية والصفات والألقاب المشتركة عند غير آلهة، مثل عشتر ورشف وأشيرة وعنات...، وفي غير حقل من ميتولوجيا أوغاريت - لا مجال لتعدادها في مقال سريع هو بمنزلة نافذة صغيرة تطلّ بنا على عالم قديم من حضارة مدينة – مملكة كان لها تأثيرها الفعّال على بيبليا اليهود في فلسطين.

المراجـــع:

Caquot, A., M. Sznycer et A. Herdner, *Textes ougaritiques, t. I., Mythes et légendes,* LAPO 7, Paris, 1974.

Yitzhaq Avishur, *Studies in Hebrew and Ugaritic Psalms*, Jerusalem, 1994.

Charles Virolleaud, «Un poème phénicien de Ras-Shamra», *Syria* 12, 1931, pp. 193-224.

أنيس فريحة، **ملاحم وأساطير من أوغاريت**، دار النهار، بيروت، ١٩٨٠.

الإلهة الكبيرة سيّدة الحيوانات والنبات في أوغاريت.
غطاء علبة مستديرة من العاج، وُجِدَ في مينة البيضاء، مرفأ أوغاريت، ويعود إلى القرن الثالث عشر ق. م.، محفوظ في متحف اللوفر في باريس

الإلــه بعــل
في نصوص التوراة وفي الأدب الأوغاريتي

الخوري بولس الفغالي

اشتركت الصفات الساميّة القديمة في ذكر «بعل» في معانٍ متعدّدة؛ ففي العبريّة، عَنَى الاسمُ «الربّ»، «السيّد»، «المالك»، «صاحب شيء من الأشياء». في هذا المعنى الأخير، نلتقي مع الفينيقيّة. فسيّد البيت ومالكه هو «بعل»، كما نقرأ، مثلاً، في خر ٢٢:٧: «ليحلف صاحب (ب ع ل) المنزل بالله». وفي جريمة بنيامين، في جبع، نرى رجال المدينة يقرعون الباب ويقولون «للشيخ صاحب (بعل) البيت» (قض ١٩:٢٠). وصاحب النفس هو بعل (أي ٣١:٣٩)، وصاحب الثور (خر ٢١:٢٨؛ اش ١:٣١). وهناك صاحب المال (تث ١٥:٢)، أي الدائن، ورب الأسرة (لا ٢١:٤).

وما قلنا عن العبريّة نقوله عن الأراميّة، كما عن السريانيّة (ب ع ل ا). هو السيّد وربّ البيت والزوج. ومن الاسم يشتقّ الفعل: ب ع ل: «امتلك»، وبالتالي «تزوّج». ويتألّف عدد من الألفاظ مع «بعل»: «بعلدارا»: «العدوّ»، «صاحب القتال» (دارا). «بعلدينا»، «الخصم في المحكمة». «بعل تحوما»، «صاحب التخوم والحدود»، «الجار» و«القريب». أما في العربيّة، فخصّص «بعل» في الكلام عن رجل المرأة وزوجها، هو يمتلكها وهو ربّها.

في هذا المعنى الأخير، نكون أيضاً في السريانيّة وفي العبريّة التي عادت بالاسم إلى الفعل؛ هو يعني «تسلّط»، «امتلك» (في الحبشيّة، «امتلك كثيراً»، «اغتنى»). ثم اتّخذ امرأة، فصارت «ب ع ل ت. ب ع ل»، زوجة رجل امتلكها، اقتناها: كما في العربيّة «ملك». فالعصفور هو صاحب، ممتلك (ب ع ل) جناحين (جا ١٠:٢٠). والحالم هو صاحب أحلام (ب ع ل. هـ ح ل م و ت). والمتكلّم صاحب لسان (جا ١٠:١١: ب و ف. د ر ي و ن).

«بعل» لفظ واسع جداً. انطلق من الحياة العاديّة، اليوميّة، ولا سيّما في إطار الزواج والأسرة والأملاك، فوصل إلى الحياة الدينيّة. بعل هو إله في عالم فينيقيّا، وأوغاريت، بل في كنعان كلها حيث أقام العبرانيّون، الذين تحدّثوا عن «الأبعال»، ب ع ل ي م، في صيغة الجمع، لأن لكل شعب بعله، أي سيّده، ولكل مدينة بعلها: بعل حاصور، المدينة القريبة من قبيلة أفرائيم (٢ صم ١٣:٢٣). بعل حرمون، تقع عند سفح جبل حرمون (١ أخ ٥:٢٣؛ قض ٣:٣). بعل فرصيم، قرب وادي رفائيم (٢ صم ٥:٢٠؛ ١ أخ ١٤:١١). بل هناك «بعل البئر»، على حدود قبيلة شمعون (يش ١٩:٨: هي رامة الجنوب). ولا ننسَ في لبنان «بعل بك»، بعل البكاء، أو ربّما «بعل الجفاف». وجاء، أحد أبناء يعقوب من زلفة، جارية ليئة، كان له بعله على سفح جبل حرمون. إنه يحمل الحظّ والنجاح.

أما نحن، وبعد هذه النظرة العامة إلى اللفظ، فنودّ أن نتعرّف إلى هذا الإله في عالم العبرانيّين، كما في عالم أوغاريت.

١ – بعل في الكتاب المقدس

أول مرّة يرد الاسم، كان في سفر القضاة: «ففعل بنو إسرائيل الشرّ في عيني الربّ وعبدوا «هـ ب ع ل ي م»، أي «الأبعال» (قض ٢:١١). وفي آ ١٣، ترافق «ب ع ل» مع «ع ش ت ر و ت»: «تركوا الربّ وعبدوا البعل والعشتاروت». نلاحظ وجود أل

التعريف، وكأن الكاتب لا يريد أن يجعل من هذا الاله اسم علم، وكذلك من هذه الالاهة. وفي قض ٣:٧، اجتمع الأبعال (ب ع ل ي م) مع «هـ. ا ش ر و ت» (قض ٣:٧).

من هو بعل في الكتاب المقدّس، ولماذا عبادته شرّ «في عيني الربّ» (قض ٢:١١)؟ هو إله من الآلهة. وعبادة العبرانيّين له تُعتبر خيانة «ليهوه» الربّ الذي تراءى لموسى في البريّة. كما هي تجاوز للوصيّة الأولى من الوصايا العشر: «أنا هو الربّ إلهك، لا يكن لك آلهة (ا ل هـ ي م) آخرون (ا ح ر ي م) تجاهي»، حرفياً: «على وجهي»، «في مواجهتي، بحيث تبدو كأنك تتحدّاني في عقر داري». وستكون الحرب قاسية بين «بعل» و«يهوه»، ولا سيّما في زمن إيليا. من جهة، إيليا وحده، ومن جهة أخرى، أنبياء البعل عديدون. قال: «أنا الآن وحدي، وأنبياء البعل أربعمئة وخمسون رجلاً» (١ مل ١٨:٢٢). على المستوى البشريّ، القِوَى غير متكافئة، ولا سيّما إذا عرفنا أن كهنة عشتاروت الكثيرين هم هنا، والشعب يميل إلى هذا الإله بأعياده المليئة بالفرح والمرح.

ولكن الله هو الذي ينتصر. دعاه إيليا فأجاب في الحال بواسطة النار التي «التهمت المحرقة والحطب والحجارة وحتّى الماء الذي في الخندق» (١ مل ١٨:٣٨). النار تدلّ على حضور الله، كما في العلّيقة الملتهبة. وفي ما فعلته، بيّنت أن الله قدير هو، وأن البعل ليس بشيء أمامه. دعاه الجمع الكبير، فما أجاب. هو غائب، أو هو في سفر، أو هو نائم، فلا بدّ من الصياح لإيقاظه. هذا ما قاله إيليا هازئاً بأنبياء البعل: «فربّما إلهكم غارق يتأمّل، أو هو مشغول أو في سفَر، أو لعلّه نائم فيفيق» (آ ٢٧). والتقليد اللاحق سوف يقول في بعل، كما في سائر الأصنام: «أرباب الأمم فضة وذهب من صُنع أيدي البشر. لها أفواه ولا تنطق. ولها عيون ولا ترى. لها آذان ولا تسمع، وما في أفواهها نسمة حياة» (مز ١١٥:١٥ - ١٧). تجاه هؤلاء الآلهة، يتساءل المؤمن: «غارس الأذن ألا يسمع؟ وصانع العين ألا يبصر؟» (مز ٩٤:٩).

انقسم قلب شعب يهوه بين إلهه وبين بعل. لهذا قال لهم إيليا: «إلى متى تعرجون بين هذا الفريق وذاك؟ إن كان الرب (يهوه) هو الإله، فاتبعوه، وإن كان البعل هو الاله، فاتبعوه» (آ ٢٢). وأظهر الربّ قدرته على البعل، فقال إيليا للشعب الذي سجد وقال: «الربّ هو الإله» (آ ٣٩): «إقبضوا على أنبياء البعل ولا يُفلت منهم أحد. فقبضوا عليهم، فأنزلهم إيليا إلى نهر قيشون وذبحهم هناك» (آ ٤٠). ومع ذلك، هل زالت عبادة البعل؟ كلا. فسوف نراهم ينبتون من جديد. فيقول سفر الملوك الثاني عن ياهو إنه «قضى على عبادة البعل من إسرائيل» (أي مملكة الشمال) (٢ مل ١٠:٢٨).

ولكن النصر الحقيقيّ لا يكون في قتل الكهنة، فسيأتي آخرون بعدهم، ولا في قتل الأنبياء، فإيزابل، زوجة الملك آحاب، جلبت آخرين غيرهم. النصر الحقيقيّ سيكون مع النبيّ هوشع، الذي جرّد بعل من صفاته التي تجذب الناس، ونقلها إلى الربّ.

ماذا يُعطي البعل؟ المطر للأرض، والخصب للنبات والحيوان، بل للإنسان، فلا بدّ أن تعرف «عروس» الربّ، أي أمّته وشعبه»، «أني أنا أعطيتها القمح والخمر والزيت» (هو ٢:١٠). وبما أنها لا تعرف، ولا تريد أن تعرف، «لذلك أستعيد منها قمحي في وقته، وخمري في موعده، وأنزع عنها صوفي وكتّاني اللذين تكسو بهما عورتها... وأُبطل كل سرورها وأعيادها (الفصح وحصاد الشعير، العنصرة وحصاد الحنطة، المظال وقطاف التين والعنب والزيتون)... وأدمّر كرمها وتينها... وأصيّرهما وعراً فيأكلهما وحش البريّة» (آ ١١ - ١٤). ويطرح النبي السؤال: أين البعل لا يتدخّل ولا يفعل شيئاً؟ هو سيّد المطر، فلماذا لا يمطر ولماذا يسمح بأن يصير الكرم «وعراً»؟ هو سيّد الخصب، فلماذا غابت الغلاّت فأحسّ الشعب بالجوع؟ ويتلاعب النبيّ على الكلام: «في ذلك اليوم تدعوني زوجي، رجلي (ا ي ش ي)، ولا تدعوني بعدُ بعلي (ب ع ل ي)» (آ ١٨). ولماذا؟ لأن الربّ سيزيل «اسم البعل من فمها، فلا يُذكر من بعدُ باسمه» (آ ١٩).

٢ – مقام البعل في مملكة اسرائيل ويهوذا

تحدّثنا عمّا فعله إيليا على جبل الكرمل. هذا يعني أنه كان هناك هيكل للبعل على هذا الجبل. وقد ذهب النبيّ يحارب هذا الاله الذي كان له الأثر الكبير في الشعب، في عقر داره. فالكرمل يعني «الجنّة» و«الحديقة». فأي مكان أفضل من هذا لإله المطر والخصب؟ والكرمل جبل يعلو ٥٥٠ م فوق سطح البحر، عليه يقيم البعل الذي يحبّ المرتفعات، شأنه شأن الآلهة. وبما أن الأساطير تتحدّث عن سيطرته على البحر، فأي موقع أهم من جبل يلاصق البحر، بحيث يبدو «يم» («إله البحر»، «اليمّ» في العربيّة) ساجداً عند قدميه؟!

هنا نستطيع، إذا جعلنا التشكيل جانباً، أن نرى في لفظ «ب ع ل» الجذر: ع ل، «ما هو فوق»؛ هكذا كان المنتصر يضع قدميه على من هزمه. وإذا اعتبرنا «ب» بداية لفظ «بيت»، يكون بعل ذاك الذي «بيته في العلى»، «في السماء». لهذا سيُدعى «ب ع ل. ش م ي م» الذي بيته في أعلى السماوات، وهكذا يكون السيّد والسائد.

دعت أخبار قديمة عادت إلى القرن الرابع ق. م.، الكرمل «جبل زوش المقدّس» (اسقيلاكس المزعوم ١١٤). وزوش هو أبو الآلهة في عالم اليونان. وأن يكون له ٤٥٠ كاهناً، فهذا يعني عبادة مزدهرة جداً. والبعل المعبود هنا، هو ملقارت بعل صور، كما قال المؤرّخ اليهودي فلافيوس يوسيفوس في **العاديات اليهودية** (٣١٧:٨). ومن حمل العبادة إلى هناك؟ النص الكتابيّ واضح: إيزابل ابنة ملك صور، ابنة إيتوبعل ملك الصيدونيّين، هي أتت إلى هنا، وسيطرت على قلب الملك آحاب، وكانت تؤمّن العيش لأنبيائها العديدين: يأكلون على مائدتها. فعلى أثر اتّفاق بين الملك الفينيقيّ والملك الإسرائيليّ (في شمالي فلسطين وبمحاذاة فينيقيا)، بُنيَ هذا الهيكل الضخم الذي تمنّى «زوش»، الآتي مع الإسكندر المقدونيّ، أن يكون مقاماً له. نشير هنا إلى أن النصّ الكتابيّ في ١ مل ١٨:٣ يعطي صورة بشعة عن المرأة الغريبة التي تسحر الرجل بجمالها «وزناها». «بدأت تبيد أنبياء الربّ»، بل استعدّت لأن تنتقم من إيليا لأنه قتل أنبياءها. قالت: «ويل لي من الآلهة إن لم أجعلك في هذه الساعة غداً، كواحد منهم» (١ مل ١٩:٢). وبما أن إيليا حذر من بطشها، «خاف وهام على وجهه حتى وصل إلى بئر سبع» (آ ٣). واختارت ايزابل هذا الجبل المقدّس منذ القديم، شأنه شأن جبل حرمون. ففي لائحة المدن التي احتلّها تحوتمس الثالث سنة ١٤٦٨، نجد اسم «الرأس المقدّس» (ر ا ش ي. ق د ش و)، وتحدّث أيضاً رعمسيس الثاني، خلال حملته على قادش على العاصي، عن هذا الموضع كمركز عبادة.

ارتبط بعل الكرمل بالاله ملقارت، «ملك المدينة» (ق ر ت، من هنا «القرية» في العربيّة، وهي تدلّ في الأصل على تجمّع السكّان)، في فترة أولى من معاهدة بين الملكين، رسّخها زواجُ ابنة الملك إتوبعل ابن ملك إسرائيل عمري (٨٨٥ – ٨٧٤)، الذي أسّس سلالة جديدة، وبنى لها السامرة عاصمة بيد الفينيقيين. بعد تلك الحقبة السياسيّة، صار إلهَ العاصفة مع بروقه ورعوده، وأمطاره حاملة الخصب، بانتظار أن يُصبح في القرن الثاني بعد المسيح «زيوس هليو بوليس»، أو «مدينة الشمس»، الذي يُعبَد في بعلبك (لبنان)، ولبث يُعبد هناك حتى القرن الرابع. سيطرت المسيحيّة، فدمّر المعبد أو حوّل إلى مكان للعبادة المسيحيّة، وارتبط بإيليا، مع صخرة موجودة في قسمه الجنوبيّ الشرقيّ، تُدعى «المحرقة»[1].

(١) S. AHITUV, *Canaanite Toponyms in Ancient Egyptian Documents*, Jerusalem, 1984.
J. S. SOGGIN, "Jezabel, oder die fremde Frau", in *Mélanges bibliques et orientaux en l'honneur de M. Henri Cazelles*, Neukirchen, 1981, p. 453 - 459.
J. ELAYI, "Ba'lira'si, Résha, Reshla'l, étude de toponymie historique", *Syria* 58 (1981) 331 - 341.

ويروي سفر الملوك الأول (١٦:٣٢) أن آخاب بنى معبداً للبعل في السامرة، فتبدّل عندئذ عدد من الأسماء التي نقرأها في «الاوستراكات» أو شقفات الفخّار التي يكتب عليها. فكان ما ينتهي «ببعل» يوازي ما ينتهي «بيهوه». لا شكّ في أننا نقرأ اسم كاهن بيت إيل: أمصيا، ذاك الذي قوّاه الربّ (عا ٧:١٠، ا م ص. ي ا). ولكن الأسماء المرتبطة بالبعل، حتى في الكتاب المقدّس، كثيرة، مثلاً، جدعون المقاتل الشجاع الذي يرتبط اسمه بـ «ج د ع» «قطع»، صار «ي ر ب ع ل»، أي «مخافة بعل»؛ فبعد انتصار هذا البطل على المديانيّين الذي يُعملون السلب والنهب في قبيلته، خان الربّ (قض ٨:٢٧)، وتبعه شعبه في عبادة البعل، «واتخذوا لأنفسهم بعل بريت إلهاً» (آ ٣٣). ربّما أيكون هذا النصّ دُوّن يوم عقد الملك عمري معاهدة مع الملك إتو بعل، فاستخلص الكاتب المعنى الروحي، وقدّم العبرة في خبر ربطه بأحد القضاة الذين نالوا مديح الربّ، بواسطة ملاكه: «الربّ معك، أيها الجبّار» (قض ٦:١٧)؟

على هذا البعل، قامت قيامة هوشع الذي تنبّأ مدة طويلة: من سنة ٧٥٠ إلى سنة ٧٢٥. ولكن يبدو أنه لم يشهد سقوط السامرة. أمّا ما نجد من تفاصيل في كتابه عن هذا السقوط، فقد وضعه تلاميذه الذين دوّنوا أقواله بعد سنة ٧٢٢ – ٧٢١، وعلى ضوء ما حدث بيد سرجون الثاني، ملك أشور. وحين دمّرت السامرة، دمّر معها معبدها.

هذا في مملكة إسرائيل. ويبدو أن العدوى انتقلت إلى مملكة يهوذا، كما قال النبيّ هوشع: «إن كنتم أنتم تزنون، يا بني اسرائيل، وراء آلهة أخرى، فلا تجعلوا بيت يهوذا يرتكبون هذا الاثم» (هو ٤:١٥). الزنى في العبادة، هو البغاء المكرّس، حيث الملك يجتمع بفتاة، فيمثّل اتحاد السماء بالأرض من أجل المطر المنتظر: «السماوات تستجيب للأرض، والأرض تستجيب للقمح والخمر والزيت» (هو ٢:٢٣ – ٢٤). الفعل الذي نقرأ هنا: ا ع ن ه» الذي يرتبط بالغنى في إطار الاشتقاق الساميّ. حينئذ يكون عمل الربّ في ترجمة جديدة: «في ذلك اليوم، أغني (= أعطي الغنى) السماوات (مع لام المفعول)، وهي تُغني الأرض، والأرض تُغني القمح والخمر والزيت. وهي (كل هذا) تغني يزرعيل» الذي يعني «زرع الله». الله يزرع الأرض ويمنحها الغنى، كما يزرع شعبه ويرحمه.

والزنى في معنى آخر هو عبادة الأصنام. فكما تخون المرأة زوجها حيث تزني، كذلك تكون خيانة الربّ واتّباع آلهة أخرى زنى. في هذا المعنى نقرأ هو ٢:١٥: «وأعاقبها (عروسي، الشعب عروس الربّ) على الأيام التي كانت فيها تبخّر للبعليم، (هناك أكثر من بعل)، وتتزيّن بأساورها وحليّها، وتتبع محبّيها وتنساني».

قال سفر الملوك الثاني (١١:١٨): «ودخل جميع الشعب بيت البعل، وهدموا مذابحه، وحطّموا تماثيله، وقتلوا متّان كاهن البعل، أمام المذبح» (رج ٢ أخ ٢٣:١٧). من أين جاء هذا المعبد؟ من عثليا، ابنة إيزابل والملك آخاب. ولبث هذا المعبد ما لبثت عثليا حيّة بعد أن كادت تُفني كلّ نسل داود. فلما قبضوا عليها، وجرّوها إلى قصر الملك، وعند مدخل باب الخيل قتلوها» (آ ١٥)، استطاعوا أن يهدموا هيكل البعل الذي بنته في حياتها.

يبدو أن هذا المعبد لم يكن في المدينة، بل في رامة راحيل التي تبعد ٤ كلم إلى الجنوب من أورشليم. فهناك أظهرت التنقيبات عمارة ضخمة، تشبه ما في السامرة. أيكون الفينيقيون الذين بنوا السامرة، بنوا في جوار أورشليم هيكلاً للبعل، كما سبق لهم وشيّدوا هيكلاً للربّ في زمن سليمان؟ الأمر معقول جداً. غير أن الفخاريات قد لا تعود إلى زمن عثليا (٨٤١ – ٨٣٥).

وكان بعلٌ آخر في فراصيم (٢ صم ٥:٢٠)، على أحد المرتفعات، كما قال إش ٢٨:٢١ ("يقوم الربّ كما في جبل فراصيم"). إن إله بعل فراصيم هو بعل عشيرة فارص التي ترتبط بقبيلة يهوذا، والتي كانت من أهم العشائر. والكاهن المذكور في هيكل أورشليم اسمه متّان ("عطية الاله"). هو اسم فينيقي معروف (والد ديدون، ثم ملك صور في نهاية

عهد تغلّت فلاسّر، ثم ابن حيرام الرابع، ملك صور، في عهد أرتحششتا؛ هذا ما يربطنا بالإله الصوري، بعل صور أو ملقارت[٢].

٣ – أشيرة وعشتار

ذكرنا اسمَين مع بعل أشيرة التي تُحْسَب رفيقة إيل، وعشتار رفيقة البعل («أ ش ي ر ه»)، في الفينيقيّة («ا ش ر ت»)، في الأراميّة («أ ث ر ت»)، في الأكاديّة («ا ش ت ر ت و»). هو يقابل («أ ث ر ت») في الميتولوجيا الأوغاريتيّة. في العهد القديم، أشيرة هي موضع عبادة مكرّس لبعل. هناك الماء والأشجار، ولكنه موضع محرّم على الشعب. نقرأ في تث ١٦:٢١: «لا تغرزوا لكم أوتاد (اش ر ه) خشب بجانب مذبح الربّ إلهكم، الذي تبنونه». تحدّث بعضهم عن «أوتاد خشب للآلهة» أو «وَتَد مقدّس». وفي قض ٦:٢٥، نقرأ كلام الربّ لجدعون: «خذ الثور الذي لأبيك، وثوراً ثانياً ابن سبع سنين، واهدم مذبح البعل الذي لأبيك، "و أ ش ر ة" التي عليه تقطع». ترجم بعضهم «الشجرة»، أي الشجرة المقدّسة، رمز الالاهة أشيرة التي هي زوجة إيل في الأدب الأوغاريتيّ. أما الوتد المكرّس بجانب المعابد الكنعانيّة، فهو يرمز إلى الخصب.

هنا نتذكّر كتابةً وجدت في كونتلت عرجوم وخربة القوم «ي هـ و ه. و. ا ش ر ت ه»، أي «يهوه ومقامه المقدّس». ولكن قال بعضهم «يهوه وزوجته أشيرة»، كما نقرأ مدوّنة وجدت سنة ١٩٨٠، في عكا، على الشاطئ الفلسطيني، تتحدّث عن خادم المعبد «ل. أ ش ر ه». فهم الكتاب اليونان واللاتين أشيرة على أنها «شجرة، غابة»، بالنسبة إلى الغابات المقدّسة التي ترمز إلى الخصب. ولكن عدداً من المعاصرين يتحدّثون عن إلاهة كنعانيّة ترمز إلى الخصب؛ ولكن علم الاشتقاق الذي يقرأ في «أسطورة كارت» (س ٩٤) «أ ت ر» الذي يعني «بعد»؛ في رجوع إلى العربيّة «أثر»، يجعلنا أمام موضع، لا أمام شخص، «في إثر اثنين، اثنان يسيران. هما جميعاً في إثر ثلاثة».

لا نجد تحديداً واضحاً للفظ «أشيرة» التي حاولنا أن نبقيها كما هي في الترجمات. قد تكون إلاهة الخصب الذي معبدها يكون في غابة مقدّسة، أو أقلّه قرب شجرة وعين ماء من أجل الاغتسال. هذا في الكتاب المقدّس. أما في أوغاريت، فإن «ا ت ي ر ه» (أو: أشيرة) هي الإلاهة الأخرى المتّحدة بالإله العظيم، تشاركت معه في ولادة الآلهة، فدُعيت «ق ن ي ت. إ ل م»: «خالقة» (راجع قني في العربية الآلهة، مولّدة الآلهة. نقرأ في «قصر بعل»: أقول لك أيضاً هذا، يا رسول: أعدّ عطيّة للسيّدة أثيرة يم (أشيرة البحر)، عطيّة تجتذب «قانية الآلهة»، فترضَى علينا. والآلهة الذين هم أولاد إيل هم في الوقت عينه أولاد أشيرة (بن أثرت)،

ونورد هنا مقطعاً من «قصر بعل»:

وضعت قدراً على النار، إناء فوق الجمرات،

تضرّعت إلى الثور إيل النبيل

وتوسّلت إلى خالق الخلائق.

حين رفعت أثيرة عينيها وشاهدت مجيء بعل

حين رأت مجيء البتول عناة مسرعة

أصطكّت رجلاها، ومن خلف تحطّم متناها

ارتعدت فقرات ظهرها، ورفعت صوتها وصرخت.

ب – عشتاروت، إلاهة الخصب

اعتاد العهد القديم أن يذكر هذه الإلاهة في صيغة الجمع (ع ش ت ر و ت)، وذلك في خطّ الأكادي المتأخّر وأرامية تدمر. وما كان اسماً إلهياً، صار اسمَ جنس، وكأن هناك أكثر من إلاهة خصب. في الواقع، حين نقرأ

(٢) Y. YADIN, "The House of Ba'al of Achab and Jezabel in Samaria, and that of Athaliah in Judah" in *Archacology in the Levant. Essays for Kathleen Kenyon*, Warminster, 1978, p. 127 - 135.

النصوص التوراتيّة وغيرها، نكتشف أننا أمام أكثر من إلاهة. وربّما أمام عدد من تماثيل الإلاهة. عن بني اسرائيل قال سفر القضاة: «وتركوا الربّ وعبدوا البعل والعشتاروت» (٢:١٣). وفي السفر عينه، يتحدّث الكاتب عن بني إسرائيل الذين يصنعون الشرّ في عيني الربّ، «فيعبدون الأبعال (ب ع ل ي م) والعشتاروت، وآلهة أرام وآلهة صيدون...» (١٠:٦). وقال صموئيل لكل بيت إسرائيل: «إذا رجعتم إلى الربّ بكل قلوبكم، أزيلوا الآلهة الغريبة من وسطكم و(تماثيل) العشتاروت، وثبّتوا قلوبكم في الربّ، واعبدوه وحده» (١ صم ٧:٣ - ٤). من أجل هذا، صرخوا إلى الربّ فقالوا: «خطئنا، لأننا تركنا الربّ، وعبدنا البعليم والعشتاروت» (١ صم ١٢:١٠). حسبنا أنهم يخلّصوننا، فما فعلوا شيئاً، فهتفوا: «فأنقذنا الآن من أيدي معادينا فنعبدك».

من هي عشتار (أو عشتاروت)؟ ترى فيها التوراة إلاهة الصيدونيّين، أي الفينيقيين. هذا ما يقوله سفر الملوك الأول حين يتحدّث عن سليمان: «وتبع سليمان عشتاروت، إلاهة الصيدونيّين، وملكوم، إله بني عمّون» (١١:٥). وردّد النبيّ آخيّا الشّيلوني الحكم نفسه على من كان الملك «الحكيم»: «إن سليمان تركني، وسجد لعشتروت، إلاهة الصيدونيّين، ولكموش إله الموآبيين» (آ ٣٣). كل هذا الذي بناه سليمان من هياكل، والملوك الذين خلفوه، إكراماً لعشتروت، هدمه يوشيا، الملك المصلح في زمن إرميا. «حطّم النصب وقطع أشرات»، وملأ أماكنها عظام بشر» (٢ مل ٢٣:١٤).

عُبدت عشتار بشكل خاص في فينيقيا، وفي ما جاورها من بلدان، ولا سيّما فلسطين. وُجد معبد كبير في باشان (في شرقيّ الأردن)، فتسمّى الموضعُ باسم الإلاهة: عشتروت، أو عشتاروت قرنايم. هكذا ذكرها سفر التكوين مع انتصار الملوك على الرفائيين (ر ف ا ي م) في ١٤:٥. هذه المدينة الأموريّة، التي حسبها سكان باشان أدرعي («درعا» الحالية على الحدود بين سوريا ومملكة الاردن)، قد احتلّها موسى والآتون معه، كما قال سفر التثنية (١:٤) ثم سفر يشوع (٩:١٠؛ ١٢:٤ حيث تُذكر أدرعي). هذه المدينة ذكرتها النصوص المصريّة في المملكة المتوسّطة، ثم لائحة تحوتمس الثالث (ع ش ت رت) ورسائل تلّ العمارنة (ع ش ت ر ت ي)، وجاءت أيضاً في لائحة مدن احتلّها تغلت فلاسرّ الثالث (ا س ت ر ت و). والإشارات التنقيبيّة أوصلتنا إلى تل عشتره الذي يبعد ٨ كلم إلى الشمال الغربي من أدرعي (درعا) السوريّة.

ووُجد معبد آخر لعشتاروت في عسقلان. عن هذا الهيكل تحدّث سفر صموئيل الأول (٣١:١٠): في داخله جعلوا سلاح شاول بعد أن قُتل في جبل جلبوع. كما لبث معبد باشان حتّى الحقبة اليونانيّة، مع معبد أثر جتيس (٢ مك ١٢:٢٦)، التي تماهت مع عشتروت، بواسطة أفروديت، إلاهة الجمال والحبّ، كذلك لبث معبد عسقلان في اسم مشوّه «درقاتو» (اترجتيس حتى زمن الامبراطورية الرومانيّة).

يروي نص أوغاريتي أن ماري، على الفرات، هي المدينة المقدّسة لعشتار. وتشير إلى هذه العبادة وثائقُ وُجدت في إيبلا، في الحقبة السابقة لسرجون الأكادي. لا نجد في أوغاريت ما يدلّ على أن عشتار ارتبطت بالحبّ بحيث تلتقي مع أفروديت. ولكن ارتباطها مع عشتار البابليّة، يدلّ على دورها في البغاء المكرّس. في الألف الأول ق. م.، أزالت هذه الإلاهةَ الإلاهات الساميّات، وفرضت نفسها كتجسيد للخصب. وإذ اعتبرها الفينيقيون الإلاهة الساميّة، ما هو بينها وبين هيرا، إلاهة الزواج وامرأة زوش، ثم بينها وبين يونون، الإلاهة الايطالية، زوجة جوبيتر والمحامية عن المرأة.

شخصيّة عشتاروت تُشبه عشتار البابلونيّة. بما أنها إلاهة الحب الشهوانيّ والخصب، فهي تصوّر عارية. من أجل هذا، كان الكتاب المقدس قاسياً بالنسبة إلى عشتاروت،

دون أن يستطيع منع عبادتها. ففي سنة ٦٢٢ ق. م.، مع إصلاح يوشيا، بل بعد ذاك التاريخ، كانت معابدها حاضرة، والقادمون إليها عديدين. واعتُبرت أيضاً إله السلاح والحرب والعيد، لهذا جُعل سلاح شاول المهزوم في معبدها، فكأنها هي التي عملت لكي ينتصر الفلسطيون على جيش شاول. في هذا المجال، صُوِّرت عشتاروت في مصر وهي على فرس أو في مركبة حربيّة مع فأس مليئة بالثقوب.

وماذا عن نصوص أوغاريت؟ هي لا تُذكَر هنا كما في سائر النصوص الديانات الساميّة. جمالها جمال مثاليّ، مثل عناة[٣].

«أعطني بالأحرى ما في بيتي،
أعطني السيّدة حوراي (تهتمّ بالبؤساء).
زهرة نسلك وبكرك
نعومتها نعومة عناة
وجمال عشتاروت جمالها
حدقتا عينيها زمرد
وجفونها قطع مرمر...
أرتاح في صفاء عينيها».

ساعدت عناة، زوجة البعل، فمنعت بعل من قتل رسل «يم». ولكنها فرحت حين رأت بعل ينتصر على يم:

كلّمت عشتاروت (بعل) باسمه:
«شتّه، يا بعل، يا قدير،
شته، يا راكباً على السحاب
فالرئيس يم أسير لدينا
والقاضي «نهر» (نهر يحيط بالكون ويرتبط بيم) أسيرنا
ليخرج...
ويشته بعل القدير.
أجل، مات يمُ، وبعلُ مَلَكَ...»

وننهي كلامنا، كما بدأنا عن بعل. هو الشخص المركزيّ في العقائد الميتولوجيّة التي وُجدت في أوغاريت. يصوّر وجهُه، تُذكر صفاته، ويُكشف نشاطه. هو إله العاصفة والمطر. ارتبط بالظواهر الطبيعيّة، فجسّد العاصفة التي تدلّ على قدرتها التي لا يقاومها عنصر من العناصر، ولو كان البحر. هذا من جهة، ومن جهة ثانية، المطر الذي يسقط على الأرض، يحمل إليها الخصب ويؤمّن الطعام للبشر. العاصفة تدلّ على قدرة الاله، وعلى العنف الذي به يمارس نشاطه. والمطر يفهم الانسان عنايته، كما يقول مز ١٠٤: ٤ – ١٦: «تُنبت العشب للبهائم، والخضرة لخدمة البشر، فيخرجون قوتاً من الأرض، خمراً تفرّح قلب الانسان، وزيتاً يجعل وجهه مشرقاً، وخبزاً يُسند به قلبه. أشجار الربّ تشبع مطراً، أرز لبنان الذي غرسه».

بعل هو «السيّد»، سيّد الأرض (ب ع ل. أ ر ص) وصاحبها. هنا نقرأ وليمة بعل في ملحمة بعل وعناة:

أخفضِ الرأس...
ان فَردامانِي، خادم بعل العظيم
يا عبد الأمير، سيد (بعل) الأرض
شرع يُعدّ الطعام
ويعطيه ليأكل.
بعل، هذا السيّد، يرفض أن ينحني،
أن يخضع
أجاب الثور أبوه: "بعل عبدُك، يا يم،
بعل عبدك، يا نهر،
(بعل) ابن داجان أسيرك
يحمل إليك الجزية، كما للآلهة،
يدفع إليك الهدايا كما لأبناء القدس"؛
فارتجف الأمير بعل غضباً،
وأمسك بيده سلاحاً قاتلاً،
بيمناه سلاحاً مدمِّراً
ليضرب الخدم،
فامسكت عناة بيمناه،

(٣) M. J. LAGRANGE, *Études sur les religions sémitiques,* Paris 1905, p. 119 - 140; M. H. FANTAR, «A propos d'Ashtar en Méditerrannée occidentale», *Rivista di Studi Fenici* 1 (1973) 19 - 29; M. DELCOR, «Astarté et la fécondité des troupeaux en *DE* 7, 13 et par», *Ugaritic Forschungen* 6 (1974) 7 - 14; Id, «De l'Astarté cananéenne des textes bibliques à l'Aphrodite de Gaza», *Folia Orientalia* 21 (1980) 83 - 92; E. LIPINSKI, *Dieux et déesse de l'univers phénicien et punique,* Peeters, Leuven, Studia Phœnicia, XIII.

وعشتاروت أمسكت بشماله، فقالت:
كيف تضرب رسل يم
ووفد القاضي نهر؟[٤].

خاتمـــة

كانت لمحة سريعة إلى العلاقة بين الكتاب المقدّس ونصوص أوغاريت، في ما يتعلّق ببعل وبالرفيقتين اللتين يذكرهما التوراة، أشيرة وعشتاروت. الهدف الأول كان محاولة قراءة النصوص البيبليّة على ضوء ما نعرف من ديانات العالم السامي الغربي. فتوضحت أمور، وصار السياق مستعداً لتقديم فهم جديد لمدلولات كانت في الماضي مسجونة داخل الكتاب العبريّ. مع اكتشافات رأس شمرا منذ سنة ١٩٢٩ وسائر المدوّنات في عالم الشرق، لم تعد التوراة كتاباً منعزلاً تحمل وحدها الحقيقة العلميّة والتاريخيّة والاجتماعيّة والسياسيّة. فنصوص ماري على الفرات، وإيبلا قرب حلب، ورأس شمرا قرب اللاذقيّة، أدخلتنا في أدب غنيّ جداً ما زلنا في بداية دراسته. قيمته كبيرة في ذاته، وهي أكبر حين تساعدنا على فهم النصّ العبريّ الحرفيّ، من أجل اكتشاف كلام الله كما يقدّمه الوحي الالهيّ.

الإلـــه بعـــل

(٤) *Textes ougaritiques,* t. I, *Myths et Légendes*, Paris, Cerf, 1974; P. J. VAN ZIJL, *Baal; A Study in Connection with Baal in the Ugaritic* Epics, Kevelaen - Neukirchen - Vluyn, 1972; J. C. de MOOR, *The Seasonal Pattern in Ugaritic Myth of Ba'al,* Kevelaen, Newkirchen, Vluyn, 1971.

أنيس فريحه، **ملاحم وأساطير من الأدب السامي**، دار النهار، ١٩٧٩؛ **ملاحم وأساطير من أوغاريت (رأس شمرا)**، دار النهار، ١٩٨٠؛ مجموعة باحثين، **دراسات اوغاريتيّة**، اللاذقيّة، سوريا، ١٩٨٨.

الطقوس الدينيّة في أوغاريت

الأب أيوب شهوان

مقدمة

من الثوابت في حياة شعوب منطقة الشرق الأوسط، كما لدى شعوب العالم كافة، هي الطقوس الدينيّة التي ينفطر عليها كلّ إنسان، والتي، مع مرور الزمن، تغتني وتنمو وتطوّر، وتضحي آخر الأمر عامل وحدة بين أفراد أمّةٍ ما، ووسيلة تضرّع وطلب وشكر وتمجيد. هذه الثابتة وُجدت أيضًا في أوغاريت، المملكة التي ازدهرت على الشاطئ السوري الشمالي حوالى العام ١٤٠٠ ق. م.، وزالت حوالى العام ١٢٠٠ ق. م.، أي قبل قرنَين من دخول بني إسرائيل إلى أرض كنعان. فعندما تمّ اكتشاف مجموعة النصوص الميتولوجيّة والطقسيّة والأدبيّة وغيرها، سنة ١٩٢٩، وبلغة قريبة من العبريّة، تبيّن لاختصاصيّي الكتاب المقدس[١] والطقوس الدينية[٢] أنّ بين أيديهم مادةَ بحثٍ ثمينة، إنْ من حيث أسماءُ الأماكن، مثل صور، وصيدون، وأشدود، والنقّب، وإن من حيث أسماء العلم، تارح أبو ابراهيم وغيره، وأنّ في ذلك ترجمة أوغاريتيّة مسبقة لمعطيات بيبليّة عدّة، خاصة أسفار التكوين والمزامير وأيوب، ولمعطيات ليتورجية تفيد في توضيح العديد من الأمور.

ومن المناسب التذكير هنا بأن العلماء الذين انصبّوا على التدقيق في النصوص الأوغاريتيّة، وجدوا في النص البيبلي العبري عونًا ثمينًا لقراءة ما تمّ اكتشافه، وفهمه وتفسيره، إلى أن صارت "الأوغاريتيّة" علمًا قائمًا بذاته، له قواعده، ومعاجمه، وأدبه. وإذا كان اكتشاف نصوص أوغاريت قد أفاد المؤرخين والباحثين في مجال الحضارات الشرق أوسطيّة، فإنه قد فتح البابَ واسعًا لعلماء الكتاب المقدس، والعلوم الانسانيّة، وللمترجمين في الميتولوجيات، ولمحقّقيّ البحوث المقارَنة في علم الطقوس، للفهم، والتوضيح، وإعادة النظر، والتثبُّت، وإعلان آراء جديدة أفضل ممّا كان يُظنّ أنه الحقيقة التي لا سواها.

سنركّز بحثنا في هذه المعالجة الوجيزة على **الطقوس الدينيّة في أوغاريت**[٣]، التي ترتبط ارتباطًا وثيقًا بالمعطيات الطقسية العبريّة.

١ – "الليتورجيا" الأوغاريتيّة

تم اكتشاف اللوحات الطقسيّة

(١) أنظر مثلاً:
"Ugarit and the Bible", *Ancient Hebrew Research Center* (2003); "Ugarit and the Bible", in: www.theology.edu./ugarbib.

(٢) Anson F. RAINEY, "Ritual and Cul tat Ugarit", *Archaeology Odyssey,* January/February 2004; Pierre BORDREUIL, *La trouvaille épigraphique de l'Ougarit* (1989); "Ugarit", in: www.theology.edu./ugarit,.

(٣) Madeleine KRITIKOS, "Le culte à Ougarit", *Le Monde de la Bible* 48 (1987) 36-37; Dennis PARDEE, "Ugarit Ritual Texts", *The Oriental Institute News and Notes,* 172 (2002); Id, *Ritual and Cult at Ugarit* (Atlanta: SBL, 2002).

الأوغاريتيّة[٤] منذ بدء الحفريات، وحظيَت بأن تكون أول النصوص التي نجح العلماء في قراءتها، تلتها النصوص الميتولوجية والملحمية التي خطفت الأنظار، واستمرّت على هذا الحال حتى عاد الاهتمام بها يحتل حيّزًا من الأبحاث[٥].

تتضمّن اللوحات الطقسيّة الأوغاريتيّة عرضاً مسهبًا ومستفيضًا للتقادم المتنوّعة، وهذا ما يتناسب مع تعدّد الآلهة التي يجري تعدادها بالتفصيل. معظم الطقوس مركّز على جداول بالتقادم لمختلف الآلهة، نتبيّن منها أنّ هناك فرقًا وتمايزًا بين الديانة الأوغاريتية وبين تلك البيبلية؛ يحتل الثيران[٦] والخراف[٧] المكان الأول بين التقادم، إضافة إلى أجزاء من حيوانات أخرى، في تاريخ معيّن من الشهر، خاصة في أول يوم منه. فموت خروف، مثلاً، قد يهدّىء من غضب الإله؛ من المحتمل أن تكون هذه الحالة فريدة في أوغاريت لطقسٍ يُكَفَّر به عن أحدٍ ما عن طريق الاستبدال بخروف.

وتفيد جداول التقادم أيضًا في معرفة نوع الذبائح المقدَّمَة، وذلك من خلال المفردات المتعلقة بها، مثل: "د ب ح"، "ش ل م"، "س ر ف"، الخ. تميّز هذه اللوحات إذًا بين أصناف الذبائح، ونعلم من بعضها أن الملك كان يشارك في ممارسة الطقوس، فيتوشّح بثياب فاخرة[٨]، يقوم بالوضوء من أجل أن يتطهر، مما يستدعي وجود مصطلحات خاصة بذلك، مثل "ر ح ص"، "ب ر ر"، "ح ل"، الخ، ليقدّم بعدها الذبيحة[٩]. وتُضفَى على الملك هنا صفة القدسية وقت الاحتفال، وتُنزَع عنه في نهايته، فيعود هكذا إلى الحالة الدنيوية العادية. هذه المشاركة الملكية هي من المعطيات الهامّة في طقوس أوغاريت. وتتفرّد هذه الأخيرة بعدم وجود أيّ شخص آخَر غير الملك يحتفل بالطقس؛ فلا كاهن، ولا مترئس يحتفل.

كان يصحب هذه الأعمال الطقسيّة إلقاء الأشعار، وتأدية الأناشيد، كالصلاة المرفوعة إلى الإله بعل حامي المدينة، والمدوَّنة في آخر لائحة تقادم عاديّة، وتقديم البخور[١٠]، الخ.

وتخلّد لوحات طقسيّة أخرى ذكرى نقل تمثال إله إلى موقعه، أو توشيحه في القصر الملكي[١١]، وتحفظُ غيرُها نشيداً كان يُتلى مداورة بين الرجال والنساء، بينما كان كل فريق يقدّم ذبيحة تكفيريّة[١٢].

٢- من الطقوس الأوغاريتية إلى العبرية

لقد تغلغلت طقوس العبادة الأوغاريتيّة والكنعانيّة في طقوس العبادة اليهوديّة. فكلمة "شلم" العبريّة،

(٤) في الاستشهاد بالنصوص الطقسية الأوغاريتية، نعتمد:

أنيس فريحة، **ملاحم وأساطير من أوغاريت** (الجامعة الأميركية في بيروت، ١٩٦٦)؛

KTU = M. DIETRICH & O. LORETZ, *Keilalphabetische Texte aus Ugarit* (Neukirchen, 1976).

(٥) A. CAQUOT, "Un Sacrifice expiatoire à Ras Shamra", *RHPhR* 42 (1962); Id, "Rituels", dans son art. "Ras Shamra". *DBS* (1979), col. 1403ss; B. A. LEVINE, "Ugaritic Descriptive Rituals", *JCS* 17 (1963); De TARRAGON, *Le culte à Ugarit* (1980).

(٦) *KTU* 1,39, in CAQUOT et de TARRAGON, *Textes Ougaritiques*, t. II., p. 136ss.

(٧) *KTU* 1,111, in CAQUOT et de TARRAGON, *Textes Ougaritiques*, t. II., p. 194-196.

(٨) *KTU* 1,41, in CAQUOT et de TARRAGON, *Textes Ougaritiques*, t. II., p. 152ss.

(٩) *KTU* 1,39; 1. 41; 1.46; 1.105; 1.106; 1.109, in CAQUOT et de TARRAGON, *Textes Ougaritiques*, t. II., p. 136; 156; 158; 165-166; 183; 185-186; 189-190....

(١٠) CAQUOT et de TARRAGON, *Textes Ougaritiques*, t. II. , p. 183.

(١١) *KTU* 1,43; 1.91, in CAQUOT et de TARRAGON, *Textes Ougaritiques*, t. II., p. 161ss; 167ss.

(١٢) CAQUOT et de TARRAGON, *Textes Ougaritiques*, t. II., p. 142.

مثلاً، التي تدلّ على "ذبيحة سلام" أو "اشتراك"، تُستعمل في أوغاريت للدلالة على مناسبة تقديم سوائل، وفي قرطاجة على المحرقة. كيف يمكن تفسير هذا الأمر؟ عند استقرار بني إسرائيل في أرض كنعان، يبدو أنهم تبنّوا المعابد التي انتقلت إلى سيطرتهم، واعتمدوا الطقوس الكنعانيّة دون أن يُحلّوا مكانَها طقوسًا مستوحاة من اليهوديّة، خاصة وأن فرادة هذه الأخيرة لم تكن في إطار التجديد الطقسي بل "اللاهوتي". أضف إلى ذلك تبنّي إسرائيل في أرض كنعان نوعَ الحياةِ الزراعيّة الذي كان قائمًا، متحاشين الطلاق بين حياتهم اليوميّة وديانتهم، عن طريق تطويع هذه الأخيرة للمتطلبات الجديدة؛ وقد شكّلت طقوس كنعان نموذجًا للطقوس العبريّة. فسفر اللاويين حفظ لنا رتبة تقدمة أوّل الحزم التي على الكاهن أن "يحركها أمام يهوه" (لا ٢٣: ١١-١٠)؛ هذه الرتبة ليست صحراويّة بالتأكيد، لأنّ النص المذكور يأمر بني إسرائيل قائلاً: تقدّمونها "عندما تدخلون الأرض التي أعطيكم"، بل هي كنعانيّة، حيث كانت تقدمة أوّل حزمة تعني تجديد الزرع، حسبما نجد في الوصف المأساوي لقصّة بعل ومُوت الأوغاريتيّة.

٣ – رتبة المصالحة

في سياق الكلام على الذبيحة التكفيرية، التي كانت لها مكانتها في الديانة الأوغاريتية، لا بد من الإشارة، ولو بالإيجاز، إلى موضوع الإقرار بالخطايا في أوغاريت؛ فأمام خطر محدق، على المشاركين في رتبة المصالحة[١٣]، والملك والملكة في الطليعة، أن "يقرّوا بخطاياهم التي قد تكون اتّباعَ عادات الغرباء. هذا الإقرار بالخطايا وطابع التكفير عنها الوارد في النص الأوغاريتي، دفع إلى مقارنتها بطقوس "يُومْ كِبُّور" العبرية[١٤]، لكن هذه المقارنة تبقى جزئية، بانتظار أن توضع دراسة شاملة حول "لاهوت الخطيئة" في أوغاريت.

٤ – التقادم في ديانة أوغاريت

تنامى إلى حدّ كبير إكرامُ آلهةِ أوغاريت[١٥]، أي إيل وبعل وداغان[١٦]، كما أيضًا إلاهاتها، أي عناة وعشتروت خاصة، في القرنين الرابع عشر والثالث عشر ق. م.، ممّا يفسّر تكاثر عدد التماثيل "المصنوعة بالأيدي" من المعدن أو الطين، كما شاع استعمال الطلاسم التي تُنقَش عليها صورة هذا الإله أو ذاك، وشُيِّدَت لها أماكن العبادة، ورُسمت أشكالها على الأعمدة والأواني الخزفيّة، ودُوِّنَت على ألواح من طين أحداثُ حياتها الميتولوجيّة من معارك وصيد وولائم وغيرها.

انطلقت عبادة هذه الآلهة من اعتقادات بوجود مَن يتحكّم بتعاقب الفصول وبمصائر الناس، وانتشرت بشكل واسع بين الأوغاريتيّين، فتهافتوا على إرضائها، والاستغاثة بها، وطلب عونها بشتّى أنواع التقادم. فعلاوة على الذبائح الحيوانيّة التي كانت تُقدّم في الهواء الطلق على مذابح[١٧] الهياكل، مثل هيكل بعل أو داغان، كان كمٌّ كبيرٌ من التقادم يُودَع في مخازن الهياكل أو في معابد البيوت، وهذا ما بيّنته لائحة الموجودات التي تمّ العثور عليها داخل الأمكنة المذكورة.

إضافة إلى ذلك، هناك تقادم ثمينة جعلت المعابد تختزن كنوزاً هامّة، من بينها أدوات وحلى نسائيّة كالقلادات،

(١٣) *KTU* 1,40, in CAQUOT et de TARRAGON, *Textes Ougaritiques*, t. II., p. 140-144.
(١٤) CAQUOT et de TARRAGON, *Textes Ougaritiques*, t. II., p. 142.
(١٥) André CAQUOT and Maurice SZNYCER, *Ugaritic Religion* (Leiden: Brill, 1980).
(١٦) Olivier CALLOT, "Le temple de Dagan (à Ougarit)", *Le Monde de la Bible* 48 (1987) 35.
(١٧) *KTU* 1,105, in CAQUOT et de TARRAGON, *Textes Ougaritiques*, t. II., p. 157.

والأساور، وعلب التبرّج، وتقادم رجاليّة كالسلاح، وعدّة العمل، كانت كلّها توهب للآلهة لاعتقاد واهبيها أنها تجتذب الحماية الإلهيّة لسكان البيت وللأعمال المنزليّة.

ومن أدوات النذور تماثيل من معدن ثمين أو فخار أو حجر منحوت يمثّل إنسانًا يحمل التقادم، أو مؤمنين في وضعيّة صلاة، أو حتى إلاهات الخصب بصور نساءٍ شبه عاريات، أو إلهًا بوضعيّة محارب منتصر؛ أما تماثيل الحيوانات[١٨] فتقوم مقام الذبائح، وبعضها هو شعار الآلهة.

إضافة إلى ما تقدّم، هناك الأدوات الثمينة النادرة، مثل الفؤوس المستعملة للعرض والأبهة، وآلات الذبائح، خاصة الفأس المصنوعة من نحاس وذهب وحديد، والتي عُثر عليها في معبد حوريت، ومنحوتات لحيوانات مألوفة كالخنزير والأسد.

كانت هذه التقادم السبيل الأكيد لنيل حماية الآلهة في عالم كان يُعتَقَد أنّ كلّ ما يحدث فيه عائد إلى تدخّل الآلهة.

٥ – إراقة الدم ومفاعيلها

يؤمن الساميّون أن الدم هو مركز الحياة، وتؤمّن إراقته الخصب الذي من دونه لا حياة. في لا ١٧: ١١، "حياة الجسد هي في الدم"؛ وفي تث ١٢: ٢٣ "الدم هو الحياة". لذلك، يحرّم لا ١٨: ٢١ الذبائح البشرية، و"مَن يقدّم أحد أولاده لِمُولُخ يُعاقَب بالموت" (لا ٢٠: ٢-٥)، و"كل حذاء...، وكل رداء ملطّخ بالدماء تُسلَم إلى النار" (أش ٩: ٤). وأمّا في خر ١٢: ١٣، فيشكّل الدم علامة حماية لبني إسرائيل. وتحذيرًا لهؤلاء من اتّباع هذه العادة، يقول تث ١٢: ٣١: "إنّ الوثنيين يحرقون أبناءَهم وبناتهم على شرف الآلهة"، فلا يجوز لشعب الله أن يقتدي بهم.

مع هذا، لدينا في العهد القديم قصة ابنة يفتاح (قض ١١: ٣٤ي)، التي تهدف نهايةَ الأمر إلى تأمين خصب الأرض؛ بالطبع تُضحَّى ابنة يفتاح وفاءً لنذر، لكن تضحية هذه الأخيرة ورفيقاتها، هي من أجل إفساح المجال للحياة والخصب. بالطبع كانت الذبيحة رمزيّة؛ فالذي كان يُقتل وتُقام المناحة عليه، هو إله الخصب الذي تواصلت إقامة النحيب عليه في هيكل أورشليم في عصر متأخر (رج خر ٨: ١٤؛ زك ١٢: ١١).

بالإضافة إلى قصة ابنة يفتاح، هناك أيضًا قصة قتل أناس من نسل شاول (٢ صم ٢١)، إذ تمت هذه العمليّة في الأيام الأولى لحصاد الشعير؛ وغطّت رِصفة أمُّ القتلى جُثثهم بكيس إلى أن بدأ المطر ينهمر؛ المقصود هو طقس يهدف إلى تأمين تدفّق الحياة النباتيّة.

يمكن الاعتقاد أن هذه الطقوس العبريّة هي مستوحاة من الطقوس والممارسات الأوغاريتيّة خاصة والكنعانيّة عامة؛ يكفي برهاناً أوّليًا القتل الذي قامت به "عناة" بعدما علمت بموت بَعَل.

٦ – بناء الهيكل والمطر

كشرط أساسي كي يقوم بَعَل بدوره كإله للخصب في أوغاريت، ينبغي بناء معبد له، وهذا ما تحقّق بالفعل، وكُرِّس المعبدُ في الشهر السابع الذي كان الشهر الأول في روزنامة العبرانيّين القديمة، لأن السنة كانت تبدأ في الخريف. الشهر السابع هو التاريخ الذي فيه تمّ تكريس هيكل أورشليم، أي في شهر أيلول–تشرين الأول حيث كان يحتفل بعيد المظال.

على مثال معبد بعل في أوغاريت[١٩]، كان هيكل أورشليم مرتبطًا بالمطر الذي كان يُنظر إليه على أنه أعظم البركات التي بها ترتبط كل الخيرات الأخرى. ففي صلاة التقدمة

(١٨) A. CAUBET et F. POPLIN, "Les objets en matière dure animale", *Ras Shamra-Ougarit* III. *Le centre de la ville (fouille 1978-1984)*, Paris 1987) 273-306.

(١٩) Olivier CALLOT, "Les temples (à Ougarit)", *Le Monde de la Bible* 48 (1987) 34-35.

التي تلاها سليمان، طلب الملك من الله أن يُنزِلَ المطر، قائلاً: "وإذا احتبست السماء، ولم يكن مطر، بسبب خطيئته إليك، وصلّى نحو هذا المكان...، أنزِلْ مطرًا على الأرض التي أعطيتَها ميراثًا لشعبك" (١ مل ٨: ٣٥).

نتبيّن بوضوح وجود رباط وثيق بين الهيكل والمطر من خلال نصّ آخر، هو للنبي حجّاي الذي يرى في إهمال بني اسرائيل إعادة بناء الهيكل السببَ الأساسيَّ لحلول المصائب بإسرائيل؛ لذلك "حبست السماء فوقكم نداها، والأرض غلّتَها، ودعوتُ بالقحل على الأرض وعلى الجبال" (حج ١: ٩ي). وبذات المعنى يتكلّم زكريا على الموضوع عينه، فيقول: "العائلة التي لا تصعد إلى أورشليم في عيد المظال، لا يكون عليها شتاء" (زك ١٤: ١٧).

يمكن الافتراض إذاً أن معبد بَعَل قد شكّل نموذجًا لهيكل سليمان، وللمظال التي كان العبريون يَبنونها بهدف تأمين ازدهار النبات، كما أيضًا لطقوس استقاء الماء وسكبه، كما نقرأ في ١ صم ٧: ٦: "فاجتمعوا في المصفاه، واستقوا ماءً، وصبّوه أمام الرب". واستناداً إلى التقليد الربيني، كانت الماء تُسكب على المذبح، وتسير في مجرى خاص إلى أعماق الأرض (رج سُوكَّهْ ٤: ٩؛ ٥). كان على هذا الطقس الديني أن يؤمّن سنةً غنيّة بالماء. هذه العادة الطقسيّة هي إرث أوغاريتي وكنعاني حَفِظته الديانة اليهوديّة وطقوسها.

٧ – السنة السبتيّة

استنادًا إلى ما كشفته نصوص أوغاريت من معطيات طقسية، يمكننا ربط السنة السبتيّة العبريّة (لا ٢٥: ٤ي) بالاعتقاد الذي كان سائداً لدى الأوغاريتيّين والكنعانيين، بأن النبات قد يكون بحاجة إلى تجدّدٍ عامٍّ كلّ سبع سنوات. ونذكّر هنا أنّ الرقم سبعة هو رمز لمرحلة كاملة، أي إلى الامتلاء والتتميم، مما يقتضي العودة إلى بدء. فبالإضافة إلى البُعد الاجتماعي والأخلاقي، وبالتالي الديني، لهذه السنة لدى بني إسرائيل، كان له بعدٌ حياتيّ من حيث تواصل الخصب في النبات، ثم في الحيوان فالإنسان.

٨ – العبادات، السحر والذبائح

تشكل النصوص الأوغاريتيّة الثمانون بلغة ساميّة غربيّة وفي زمن سابق للبيبليا العبريّة، الشاهد الوحيد تقريبًا المتعلّق بالممارسة الطقسية والسحر في الشرق. في نصوص أوغاريت نصادف عناصر عدّة مشابهة لما في العبادة العبريّة، ممّا يسمح بالاعتقاد بوجود قرابة بين مجموعتَي الطقوس؛ هناك بالمقابل العديد من الفروقات التي تسمح بالاستنتاج أنّه ينبغي أن يؤخذ الفاصل المكانيّ والزمانيّ بعين الاعتبار عندما نحاول أن نقيّم العلاقات بين الشعبين.

تشكّل ممارسة السحر[٢٠] أحد أهم الفروقات الرئيسيّة، لأن هذا النوع من الاستشارة الإلهيّة لا يوجد إطلاقًا في النصوص البيبليّة، في حين تبيّن عدّة نصوص أوغاريتيّة أن الأوغاريتيّين كانوا ينقادون للتوقعات الإلهيّة. وحتى الآن، لا دليل على وجود "النبوءة"، في أوغاريت، أي تبليغ إلهيّ بكلمات بشريّة، لذا، لا يمكننا التكلّم سوى على أنواع أخرى من العلامات. إنّ مجموع العلامات التي لها شواهد في أوغاريت والتي نفهمها، هي بدون شك المجموعة التي ترتكز على السحر بالكبد، أي فحص كبد حيوان لمعرفة أمر ما. في الواقع، اكتشفت في رأس شمرا مجموعة من مجسماتِ كبد خروف، تؤكّد وجود هذه العادة "التبصيرية".

لا سحر إذًا في إسرائيل، لكن الحاجة إلى معرفة إرادة الله، التي هي في أساس السحر والألوهة، يُعبَّر عنها في إسرائيل بالشريعة والأنبياء، وهؤلاء، من خلال أعمالهم الرمزيّة،

(٢٠) Dennis PARDEE, "Cultes, divinations et sacrifices", *Le monde de la Bible,* 120 (1999) 65-67.

يمارسون سحراً معكوسًا، المبادرة فيه هي لله. كل قارئ للعهد القديم يعلم إلى أي حد تتعارض الشريعة والأنبياء مع ممارسات ديانة أوغاريت التي ينبذها بنو إسرائيل لكونها سحريّة، ولأنها في نظرهم لا أخلاقيّة. مع هذا، فإنّ إسرائيل قد التحق أحيانًا بمدرسة أوغاريت كنعان وأخذ إرثها بطريقةٍ ما.

خاتمة

قد يطول الكلام على الطقوس الأوغاريتيّة وعلى ما تركته من أثر على الطقوس العبريّة. لذلك نكتفي بما أوردنا، ولو بالإيجاز، مذكرين بأنّ هذه الطقوس التي كانت تهدف إلى استدرار عطف الآلهة لتمنّ على الرعيّة بالازدهار والحياة المديدة، قد اعتمدها بنو إسرائيل، ولو جزئيًّا، مع فارق أساسي وفاصل، ألا وهو حصر الطلبات والصلوات والتقادم بإله واحد هو يهوه، والمعابد بهيكل واحد لسكنى الرب ولإقامة الشعائر الدينية والليتورجية، هو هيكل أورشليم.

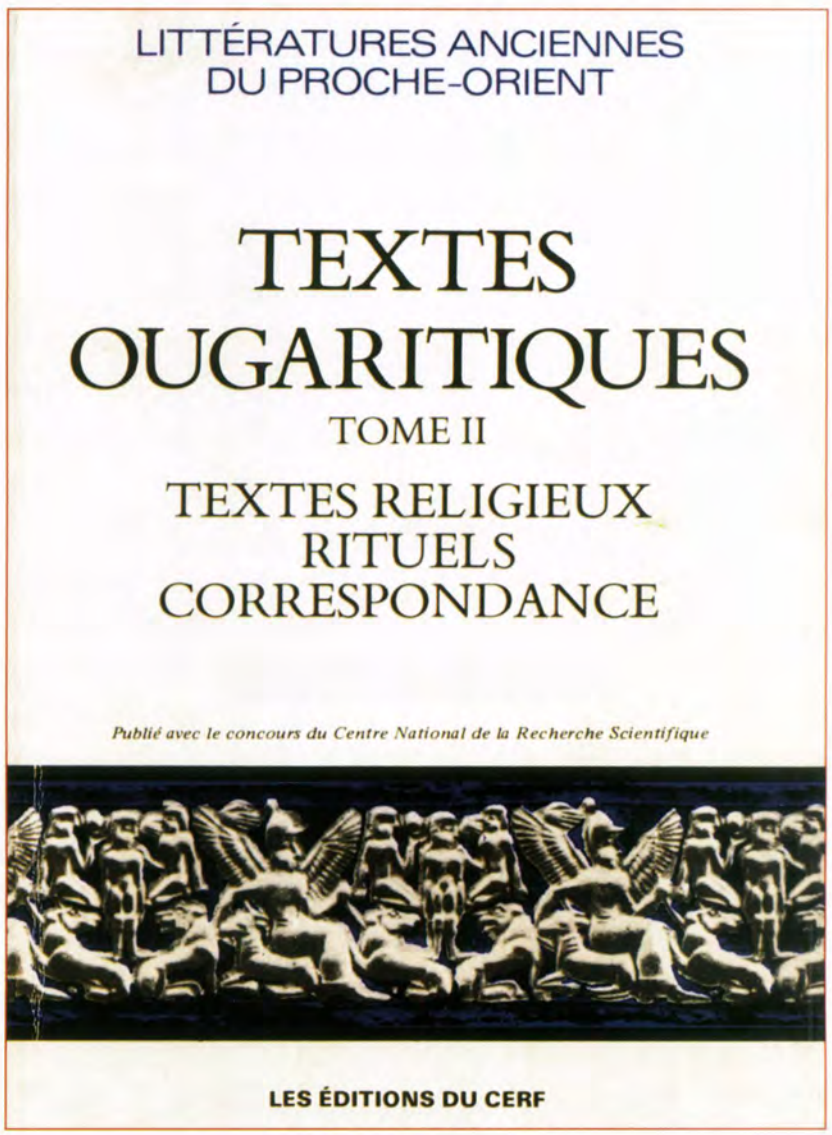

اللغة في أوغاريت

الآنسة تريز ليون توما
خريجة جامعة دمشق
كلية الآداب – قسم الآثار

١٩٢٨ م هو العام الذي اكتشفت فيه أوغاريت. وأسفرت الحفريات فيها عن خمس طبقات، أقدمها الطبقة الخامسة، التي تعود إلى العصر النيوليتي ما قبل الفخاري، وكانت وقتها أوغاريت عبارة عن مستوطنة، أما أوغاريت المملكة فتعود إلى الطبقة الثانية المؤرخة في عصر البرونز الوسيط. أما لغتها فعرفتنا إليها الطبقة الأولى العائدة إلى العصر البرونزي الأخير (١٤٥٠ – ١٢٠٠ ق.م.)

عثر على اللوحات الأولى المكتوبة بالأبجدية الأوغاريتية، في مكتبة بجانب هيكل المدينة، وأرسلت هذه اللوحات إلى باريس لتتم دراستها من قبل الأستاذ Virolleaud الذي له وللعاملين - Bauer Dhorme يعود الفضل في حل رموز الكتابة الأوغاريتية.

فاللغة الأوغاريتية تنتسب من حيث التصنيف العام المعترف به إلى الفئة الكنعانية الأمورية من مجموعة اللغات السامية الشمالية الغربية، وهي تعتبر لهجة من الكنعانية.

ولكن أهميتها تعود إلى أنها إنجاز مهم في تطور الكتابة عبر تاريخ البشرية، فطريقتها بنيت على أساس تشكيل علامات مسمارية لكل صوت ساكن، بدلاً من الصوت المشكّل أو المقطعي (أي الكتابة المسمارية المقطعية السابقة)، وبهذا اختزلت مئات العلامات المقطعية بثلاثين علامة تعادل حروفاً. وقد اتبع الأوغاريتيون في التدوين الاتجاه السائد من قبل (أي من اليسار إلى اليمين)، ولكن الأبجديات الكنعانية اللاحقة مثل أبجدية جبيل، دونت من اليمين إلى اليسار. وهذا لا ينفي عدم محاولة التدوين بالأبجدية الأوغاريتية من اليمين إلى اليسار، إذ اكتشفت بضعة نصوص مدونة بهذا الاتجاه.

ومما يمكن أن يقال عن العلامات الأبجدية الأوغاريتية أن أشكالها مستقلة (لا تتشابه مع أشكال العلامات في اللغات السابقة)، فيما عدا بعض العلامات التي تشير إلى مشابهتها لبعض العلامات المسمارية الأكدية. ويلاحظ أن حرف "س" إضافي استعمل في النصوص غير الأدبية بدلاً من حرف "السين"، ويذهب بعض الباحثين إلى أن الحرف المضاف كان يلفظ بصوت قريب من حرف "الثاء"، ولكن من الممكن أنه كان يلفظ "ز" الذي وجد في الكتابة الأكدية القديمة. تتألف أبجدية أوغاريت من حروف ساكنة، ولكن فيها حروف شبه صوتية، مثل حرفَي الألف المضافَين اللذَين لا يُعَدَّان من قبل بعض الباحثين من بين حروفها. وحركات الأحرف ثلاثة قصيرة هي: الضمة (u)، الكسرة (i) والفتحة (a). ولا يخفى على أحد أن التدوين كان يتم فوق لوحات من الطين الطريء بقلم له نهاية مثلثة ينتج عنه خطوط تشبه المسمار؛ وبعد نهاية عملية الكتابة، يتم حشي لوحات الطين. وقد اتبع الأوغاريتيون القاعدة الساميّة العامة في الكتابة: إدراج الحروف الصامتة فقط، وترك الحركات إلى تقدير القارئ، وهي مشكلة الخط العربي أيضاً.

وللفصل بين الكلمات استعمل مسمار عمودي صغير وغير عميق، وأحياناً كان هذا المسمار يُختَصر إلى خط بسيط. وبالنسبة إلى المفردات الأوغاريتية، في غالبيتها الساحقة، واضحة للعين، ولا سيما ما كان منها مشتركاً بين اللغات الساميّة مثل: قام، رجع...

وأيضاً خصائصها متشابهة مع خصائص لغات المجموعة الكنعانية الأمورية كلها؛ فالأسماء نوعان: مذكرة، ومؤنثة ملحقة بتاء التأنيث في حالة المفرد، أما في حالتَي المثنى والجمع فلها أيضاً لواحق خاصة، وتصريف خاص مع حالات الإضافة. وتحتوي اللغة الأوغاريتية على ضمائر منفصلة ومتصلة، وأسماء إشارة، وأسماء وصل، وأسماء استفهام، وأدوات نفي، وحروف جر، وحروف عطف، وأدوات شرط. وتبين صيغة اسم العدد في اللغة الأوغاريتية أن النظام العشري هو الذي يقوم في أساس الحسابات.

وللفعل في الأوغاريتية عدة صيغ، منها ما يدل على التسبب في حدوث الفعل، ومنها ما يدل على التكرار، وهناك صيغ أخرى أيضاً.

والتخاطب في أوغاريت كان يتم بلغتين محليتين هما:

الساميّة، وهي التي يسمّيها علم الساميّات المعاصر بالأوغاريتية، والحورية. أما اللغة الأكدية التي اقتبست عن بلاد الرافدين، فقد قامت بدور الوسيط العام كوسيلة للتخاطب المكتوب بين الدولة وباقي الدول! إذاً نستطيع القول إنه عُثر في أوغاريت على نصوص مكتوبة بغير اللغة الأوغاريتية. وهي:

أ- لغات غير ساميّة ذات كتابات غير مسمارية: قبرصية مينوية، يونانية، هيروغليفية مصرية، هيروغليفية أناضولية (نادرة).

ب- لغات غير ساميّة ذات كتابة مسمارية: لغة حثّية كلاسيكية، حورية، بالإضافة إلى الأكدية.

ت- لغات ساميّة ذات كتابة مسمارية: البابلية المقطعية (وتُسَمَّى غالباً أكدية).

ويمكننا تقسيم الوثائق التي وصلتنا من أوغاريت كلها من حيث الشكل والمحتوى إلى المجموعات التالية:

أ- وثائق تتعلق بعمليات تجارية وعمليات تبني، ونصوص إدارية.

ب- الرسائل الدبلوماسية والخاصة.

ج- القرارات القضائية.

د- المعاهدات التي أبرمت بين مملكة أوغاريت وممالك أخرى.

بالإضافة إلى عدد كبير من النصوص:

١. نصوص قانونية
٢. ملاحم
٣. قصص
٤. أساطير
٥. نصوص تاريخية
٦. مزامير وصلوات
٧. نصوص دراسية للطلاب ومعاجم لغات للترجمة.

وفي خارج أوغاريت لم تكتشف سوى بضعة نصوص مدونة بالأبجدية الأوغاريتية. وهناك معاجم حديثة خاصة باللغة الأوغاريتية تتبع نظام المعاجم المسمارية الحديثة الذي يرتب الأشكال المسمارية على النحو الآتي:

- مسمار أفقي واحد ثم أكثر،
- مسماران أفقيان ثم أكثر،
- ثلاثة مسامير أفقية ثم أكثر،
- خط مائل وزاوية،
- مسمار عمودي واحد ثم أكثر،
- مسماران عموديان،
- ثلاثة مسامير عمودية.

وفي النهاية لا بد لنا أن نقول إن النظام الكتابي المبسط للأبجدية الأوغاريتية جعل منها أبجدية سهلة المنال والتعلم لدائرة واسعة من الناس، أكبر بكثير من دائرة الكتبة المحترفين.

ولا ريب أن ظهور هذا النظام الكتابي المتطور يدل على حجم المعارف اللغوية التي كانت قد تراكمت لدى الأوغاريتيين قبل تأسيس هذا النظام وأثناءه.

للإطلاع، يمكن العودة إلى المراجع التالية:

١) نسيب الخازن، **أوغاريت**.

٢) شيغمان، **مجتمع أوغاريت**.

٣) شيغمان، **ثقافة أوغاريت**.

٤) نور الدين خضور (تعريب)، **دراسات أوغاريتية**.

٥) نائل حنون، مجموعة **محاضرات عن اللغة الأوغاريتية لجامعة دمشق**.

جغرافيــة مملكــة رأس شمــرة ومناخهــا

الطالب رامي واكيم

حدود المملكة

تخبرنا الاكتشافات الأثرية التي جرت في موقع رأس شمرة أن الإنسان عاش في هذا الموقع منذ آلاف السنين، حيث يرجّح أن الحياة بدأت فيها منذ العصر الحجري أي حوالي الألف السابع قبل ميلاد السيد المسيح. تقع هذه المملكة في الجزء الشمالي من الساحل السوري أي في الجزء الغربي من الهلال الخصيب، تحدّها أنطاكيا من الشمال وغزّة من الجنوب، والبحر الأبيض المتوسط من الغرب، ومن الشرق سلسلة الجبال المتجهة من الشمال إلى الجنوب. وتبلغ رقعتها تقريبًا الألفي كيلومتر مربع. تُعتَبر مدينة أوغاريت، عاصمة رأس شمرة، الأهم في هذا الموقع الأثري الذي يقع على بعد تسعة كيلومترات شمالاً عن محافظة اللاذقية، ومئات الأمتار عن أحد أهم موانئ المملكة، "مينة البيضاء".

إنَّ كلَّ المعلومات التي نعرفها عن هذا الموقع هي حصيلة الاكتشافات الأثرية؛ هكذا استطعنا أن نستكشف بأيّ شكل كانت حدود هذه المملكة. في القرن الرابع عشر قبل مولد السيد المسيح، عقد ملك أوغاريت[1] مع ملك الحثّيين[2] معاهدة تنص على توضيح الحدود بين المملكتين. فكانت سلسلة الجبال التي تبلغ أقصى ارتفاعٍ لها عند جبل الأقرع (١٨٠٠م)[3] هي الحدّ الفاصل بين المملكتين. إن مدينة أوغاريت محاطة بحدود طبيعية، كما تظهره تلك المعاهدة، وهي على الشكل التالي: تشكل روافد نهر الكبير الحدود الشمالية للمملكة. هذا النهر الذي كان يدعى في العصر البرونزي "راحبانو"، أي "الواسع"، يتجمع وينبع عند جبل الأقرع ليصب في البحر المتوسط على بعد بضعة كيلومترات جنوب اللاذقية. لقد لعب هذا النهر دورًا كبيرًا في الماضي لكونه طريقًا للدخول إلى المملكة من الشاطئ، ووسيلة ذات أهمية كبرى في التنقلات الداخلية. البحر المتوسط شكّل الحدود الغربيّة، أمّا الحدود الشرقية فتشكّلها سلسلة الجبال التي تدعى اليوم جبال العلويين أو جبل الأنصرية المحاذية للنهر الكبير. وهكذا كان من المستحيل، ولعدة قرون، أن تسيطر أية قوّة على هذه المملكة من الجهة الشرقية. أمّا جهة الجنوب فيشكّل نهر السن، حيث مدينة جبلة الحالية، الحدود الدنيا للمملكة.

الحدود الطبيعية، هوية جغرافية متينة

بلغت هذه الحاضرة عصرها

(١) نيقميع بن نيقماد الثاني الذي حكم حقبة طويلة من ١٣٢٤–١٢٧٤ق.م.، وكان لقبه "ملك العدالة وعميد البيت الحاكم وحامي الحدود والبنّاء".

(٢) النسبة تعود إلى حِث. أمّا الحثّيون فهم الشعوب التي سكنت المناطق العليا من بلاد كنعان على زمان إبراهيم وفي أيام الغزو الإسرائيلي.

(٣) تقع هذه القمة اليوم في تركيا ويمكن رؤيتها من أوغاريت إذا كان الطقس صاحيًا. وقد دعاها الأوغاريتيون "صافون"، معقل الإله بعل إله العواصف، الذي يقابله كاسيوس الروماني.

الذهبي في منتصف الألف الثاني قبل ميلاد السيد المسيح. وقد كانت في ذلك الوقت على علاقات ثقافية وتجارية مع العديد من الحضارات الأخرى، وبالأخص الفرعونية. وكان لطبيعة المملكة الجغرافيّة دور ليس بقليل في توضيح هوية هذه الحاضرة السياسيّة والثقافية والاقتصادية. لقد فهم سكان أوغاريت الأهمية القصوى لموقع مدينتهم، وعرفوا كيف يحصّلون فوائد جمّة منه. شكّل "ماهادو"، مرفأ المدينة الرئيسي، المعبر الأساسي بين مدن البحر المتوسط، كجزيرة قبرص، وبين المدن الداخلية المحيطة نهر الفرات وبلاد ما بين النهرين. وبالتالي، أصبحت مدينة أوغاريت مركزًا تجاريًّا لا غنى عنه ولا مفرّ من المرور به. وقام عمل تجار أوغاريت على الربط بين هذه المدن وحتّى تلك الأكثر بعدًا كأفغانستان، المصدر الأساسي للأحجار الكريمة كاللازورد، وجزيرة كريت التي صدّرت المشروبات والزيوت.

المناخ، المياه والزراعة في المملكة

تألفت المملكة من عدد كبير من السهول، ومكّنها وجودها على مقربة من البحر وجوارها لسلسة من الجبال عملت كمصدّات للرياح، من التمتع بمناخ معتدل ومع وفرة في الأمطار[٤]، سمحت بالقيام بزراعة تعتمد على مياه الأمطار التي تهطل لمدة ثمانية أشهر تقريبًا بين فصلي الخريف والربيع. نهران أساسيان يرويان المدينة: نهر الحبايب في الشمال، ونهر الدلب في الجنوب، اللذان يلتقيان ليشكلا نهر الفيض الذي يصب عند مرفأ "مينة البيضاء". لقد ساعد وجود السدود شمالاً وجنوبًا في الحفاظ على مستوًى جيد للمياه خلال فترات الصيف.

إن الطقس المعتدل أهّل المنطقة لزراعة عدّة أصناف مختلفة اشتهر بها حوض المتوسط منها: العنب، الزيتون، اللوز والفستق. بالإضافة إلى مساحات شاسعة من الغابات الدائمة الخضرة التي تشكّلت من الأرز والصنوبر وغيرها.

تأثير المناخ في شتّى المجالات

لقد دفعت هذه الزراعات عجلة الصناعة في المملكة، نذكر على سبيل المثال انتشار معاصر الزيتون لصناعة الزيت، بالإضافة إلى معاصر العنب لصنع النبيذ. كذلك الأمر بالنسبة إلى التجارة، فقد نشطت حركة التصدير لما أنتجته أراضي المملكة من زيوت و مشروبات. تأثّر أيضًا فن البناء بنوعية الأشجار التي زرعت في المنطقة. فقد استعملت الأشجار الضخمة والقويّة في تدعيم الجدران التي بُنيت بواسطة حجارة استخرجت من المنطقة. واستعمل القصب في التزيين الداخلي للمنازل.

إنّ طبيعة رأس شمرة الغنيّة بالمياه ساهمت في توجيه العديد من الأساطير في منحًى معيَّن، على غرار الأسطورة التي تتحدّث عن عراك مستمر بين "حدد" إله المطر والرعد، و"موت" إله الجفاف والموت. تروي الأسطورة إنّ "حدد"، بعد هزيمته على يد خصمه، توجَّب عليه أن يهبط إلى باطن الأرض حيث يبلغ الإله "آناتو" التي تبعث الينابيع و "شابشو" إله الشمس التي تتحكم بتبخُّر المياه، فيقوم كلا الإلهان بتجميع أجزاء جسد "حدد" وينقلانها إلى جبل "صافون" (الأقرع). وهناك يعود الإله "هدد" إلى الحياة، ويرافق ذلك عواصف وبروق شديدة تتزامن مع فصل الخريف، حيث يعود المطر للهطول.

في أوغاريت نجد الجبل والسهل والمياه الوافرة. هذه اللوحات الثلاثة ساهمت في تقسيم المملكة إلى ثلاثة أجزاء: "أورو" التي تعبّر عن السهل المحيط بمدينة جبلة الحالية عند الحدود الجنوبية حيث نهر السن، ويعتقد أنّ هذا النهر يحمل حتّى اليوم آثار مملكة سيانو التي تتكلم عنها نصوص أوغاريت، كذلك الفصل العاشر من سفر التكوين؛ "آرّو" الذي يعني الجبل وهو يمثّل سلسلة الجبال التي في شرق أوغاريت، و"صافون" الذي يمثّل جبل الأقرع.

(٤) يزيد منسوب الأمطار في منطقة الهلال الخصيب عن ٨٠٠ ملم في السنة.

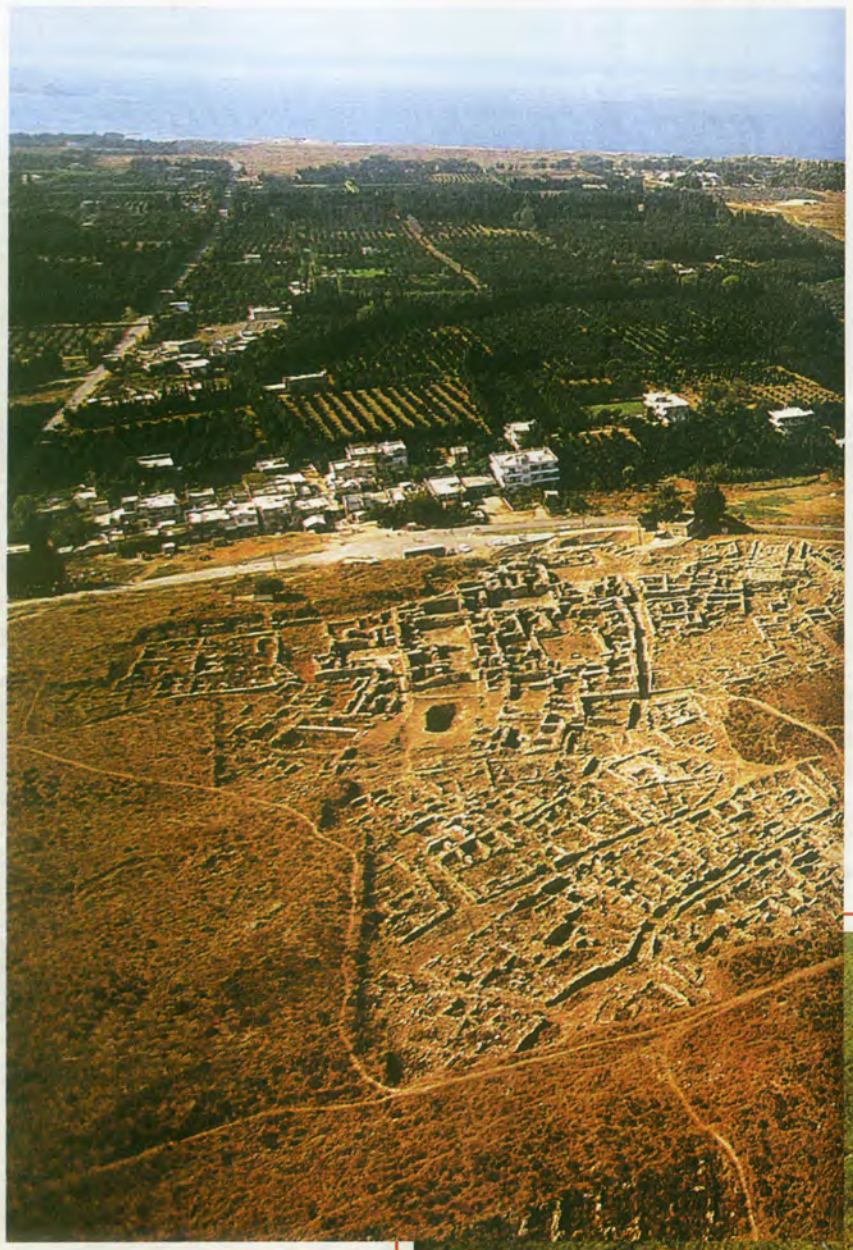

صورة من الجو لتلّ رأس شمرا من الجهة الشمالية الغربية.

صورة من الجو للقصر الملكي في أوغاريت.

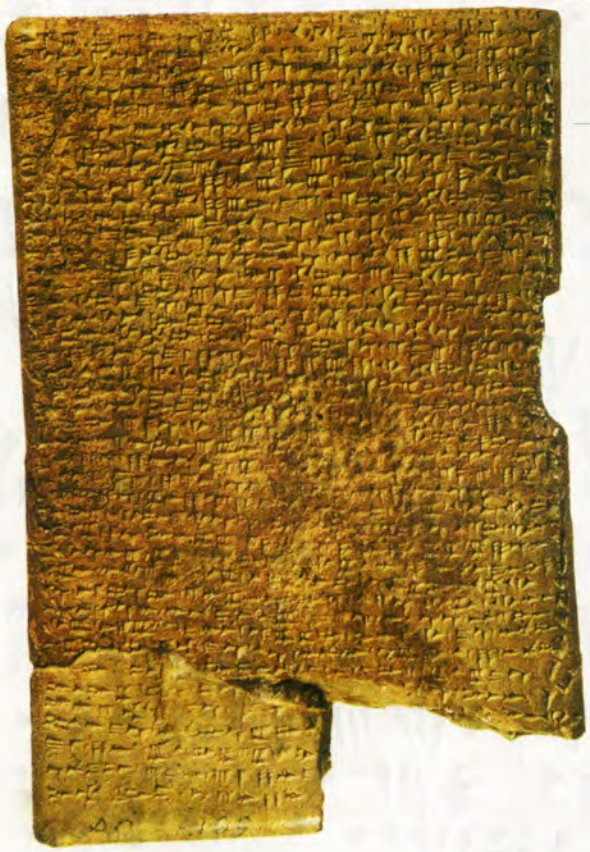

لوحة فخارية محفوظة في متحف اللوفر (فرنسا)، تتضمن شعراً ميتولوجياً في اللغة الأوغاريتية، حول «مولد الآلهة»

لوحة فخارية بأحرف مسمارية مقطعيّة بابليّة، في وسطها ختم الملك تُوداليا الرابع، محفوظة في المتحف الوطني في دمشق (سوريا).

لوحة فخارية بأحرف مسمارية تتضمّن نصّاً طقسيّاً

لوحة فخارية في اللغة الآكاديّة، موجَّهة إلى أمُّورابي ملك أوغاريت، من بيَا رئيس حرس فرعون مصر، ترقى إلى بداية القرن الثاني عشر ق.م.، محفوظة في متحف دمشق (سوريا).